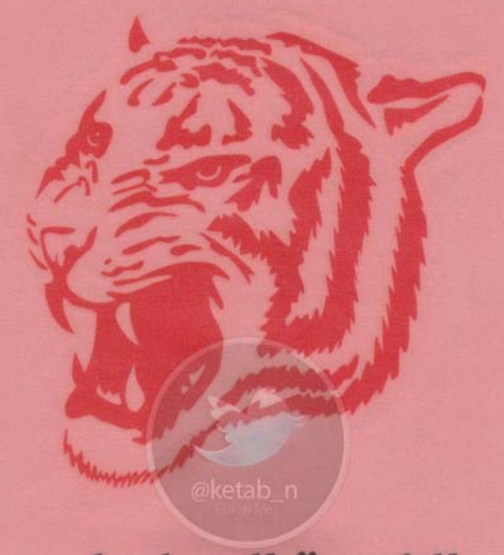
ثقافات الشعوب





الزوجة الصلعاء

حكايات شعبية من البنغال

جمع: لال بيهاري داي
ترجمة: عبد الوهاب المقالح

الزوجة الصلعاء

حكايات شعبية من البنغال

جمع:
لال بيهاري داي

ترجمة:
عبد الوهاب المقالح





الزوجة الصلعاء

حكايات شعبية من البنغال

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

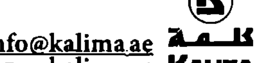
الزوجة الصلعاء: حكايات شعبية من البنغال

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR304. 5. D3912 2009
Day, Lal Behari, 1826-1894.
[Folk Tales of Bengal]

الزوجة الصلعاء: حكايات شعبية من البنغال/ جمع لال بيهاري داي؛ ترجمة عبد الوهاب المقالح.
– ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
172ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 6- 978-9948-01-508
ترجمة كتاب: Folk Tales of Bengal
1 – القصص الشعبية البنغلاديشية 2 – الحكايات البنغلاديشية. أ– المقالح، عبد الوهاب.
ب– العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النئنان



info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتـي هـذه السلسـلة التي تجمع تـراث الشـعوب مـن الحكايات والأسـاطير والخرافات الشـعبية، منسـجمة مع الأهـداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسـعى أبوظبي إلى تجسـيدها، لتشـيع ثقافة التسـامح والحوار، وبناء جسـور التواصـل بين شـعوب الأرض وحضـاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسـيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

«الباكشيراج»، أو ملك الطيور، كما ورد ذكره في مجموعة الحكايات هذه، هو نوع من الجياد الطائرة التي تنقل راكبها المسافات الشاسعة في لمح البصر. وعلى «باكشيراج» الحكاية الشعبية يطير بنا مشروع «كلمة» للترجمة، عبر هذه السلسة من الحكايات، إلى بلاد البنغال، في سياحة نادرة فريدة نطوف فيها في أصقاع تلك البلاد مطلعين على تاريخ أهلها وأساطيرهم وأفراحهم وأحزانهم وأشواقهم، ومعتقداتهم وطرق عيشهم. وفي طوافنا ذاك نوشك أن ننغمس في متع الحكايات حتى لنكاد ننسى أنفسنا. فإذا ما انتبهنا وجدنا لسان حالنا يردِّد: وهل الحياة إلا حكاية عذبةٌ آسرة تُروى؟ يا إلهي، كم توحِّد الحكايات البشر، وما أكثر ما تقرِّبهم من بعضهم بعض!

وكم أثار دهشتي وأنا أترجم هذه الحكايات بعد ترجمتي لمجموعة الحكايات التركية ما وجدته من تشابهٍ في بعض الحكايات أو في أجزاء منها، يصل هذا التشابه أحياناً حدّ التطابق. بل إن

دهشتي قد بلغت ذروتها حين قرأت حكاية شعبية يمنية بعنوان «البلبل الصدّاح والورد النفّاح والنهر السرّاح» بعد ترجمتي للحكاية البنغالية المعنونة في هذه المجموعة بـ «الولد الذي على جبينه القمر». فالحبكة وشخصيات الحكايتين وأحداثهما ونهايتهما توشك أن تكون واحدة. فما هي الحكاية، يا ترى؟

إنها لَحكاية!

عبد الوهاب المقالح

تمهيد

في كتابي «الحياة الرعوية في البنغال»، جعلت الولد الريفي «جوفيندا» يقضي ساعات كل مساء يصغي للحكايات التي ترويها امرأةٌ عجوز تدعى «أم سامبهو»، وكانت أفضل راوية للحكايات في القرية. ولما قرأ الكابتن «آر. سي. تمبل»، هو وابن الاداري الهندي المتميز «سير ريتشارد تمبل»، لما قرأ تلك القطعة، كتب إليَّ يخبرني كم سيكون ممتعاً شيِّقاً لو أنني أعدُّ مجموعة من تلك الحكايات التي لم تدوَّن بعد والتي ترويها عجائز النساء في الهند للأطفال الصغار في الأماسي، ثم سألني إن كنت أستطيع القيام بمثل تلك المهمة. ولمّا لم أكن غريباً على حكايات «الأخوين جريم»[1]، ولا على «الحكايات الأسكندنافية» التي رويت على نحو بديع بواسطة «داسينت»[2]، كما لم أكن غريباً على «الحكايات الآيسلندية» لآرناسون التي ترجمها «باول»

(1) الأخوان جريم: يعقوب جريم (1785- 1868) وفيلهلم جريم (1786- 1859): أشهر من جمع الحكايات الشعبية الألمانية التي صار الكثير منها عالمياً فيما بعد (م).

(2) سير جورج ويب داسينت (1817-1896): ترجم الكثير من الحكايات الشعبية الأسكندنافية إلى الإنجليزية (م).

إلى الإنجليزية، ولا على «الحكايات الأسكتلندية» بواسطة «كامبل»[1] ولا على الحكايات الخرافية التي جُمعت بواسطة كتابٍ آخرين، لما لم أكن غريباً على كل تلك الحكايات، فقد اعتقدت أن مجموعة الحكايات المقترحة ستكون إسهاماً -مهما صغر- في الاهتمام المتزايد بالأدب الشعبي وكذا في الأساطير المقارنة التي -مثلها مثل الفلسفة المقارنة- تبرهن على أن الريفي العاري الداكن البشرة على ضفاف «الغانج» هو ابن عم للانجليزي المتأنّق الأبيض، القاطن على ضفاف «التايمز»، مهما تعددت الاختلافات. التقطت الفكرة متهيئاً متحفزاً لجمع المادة. لكن، أين باستطاعتي أن أعثر على راوية حكايات عجوز؟ لقد حظيت أنا نفسي بواحدةٍ عندما كنت طفلاً، وسمعت مئات الحكايات، بل إني لا أبالغ إن قلت آلاف الحكايات من تلك المرأة العجوز ذاتها «أم سامبهو»، لأن تلك المرأة لم تكن امرأة خياليّة زائفة، بل كانت من لحم ودم حملت ذلك الاسم. لكني قد نسيت تلك الحكايات، ولم يتبق منها سوى ذكريات مختلطة مضطربة، فصارت بعض نهاياتها بدايات لحكايات غيرها والعكس صحيح. كم تمنيت لو أن تلك المسكينة «أم سامبهو» لا تزال على قيد الحياة! لكنها قد رحلت منذ أمدٍ طويل إلى ذلك العالم

(1) جون فرانسيس كامبل (1821- 1885): أبرز جامع للحكايات الشعبية السلتية (م).

الذي لا يرجع منه أحد، كما أن ابنها «سامبهو» أيضا هو الآخر قد لحق بها إلى هناك.

وبعد بحث طويل وجدت «الجدة جريثل»[1] خاصتي - حتى وإن لم تبلغ من العمر نصف ما بلغته «فراو فيمانين من إمارة هسي كاسل»[2] - في امرأة بنغالية مسيحية عاشت وهي طفلة في موطنها الوثني النائي وسمَعت الكثير من الحكايات التي كانت جدتها ترويها. لقد كانت راوية حكايات جيدة وإن يكن مخزونها من الحكايات غير مليء. وبعد أن سمعت عشر حكايات منها كان عليَّ أن أعثر على مصادر جديدة أخرى. حكت امرأة بنغالية عجوز حكايتين، وحكى لي حلاقٌ ثلاث، وحكى لي خادم عجوز من خدمي حكايتين، وسمعت بقية الحكايات من براهمانية[3] عجوز أخرى.

لم يكن من رواتي هؤلاء أحدٌ يجيد الانجليزية، بل حكوا لي كلهم حكاياتهم بالبنغالية، وقمت أنا بترجمتها إلى الانجليزية حين كنت أعود إلى البيت.

لقد سمعت الكثير من الحكايات غير هذه المدونة في هذه

---

(1) الراوية في عدد من حكايات الأخوين جريم (م).
(2) فلاحة ألمانية في هذه الإمارة الألمانية تدعى ماري مولر جمع منها الأخوان جريم الكثير من حكاياتهما (م).
(3) فرع أو مبدأ من مبادئ البوذية (م).

المجموعة، لكني استبعدت الكثير منها إذ بدا لي أنها قد اشتملت على إضافات زائفة على الحكايات الأصلية التي استمعت إليها طفلاً.

لدي قناعة تامة بأن حكايات هذه المجموعة هي نموذج أصيل للحكايات البنغالية الموغلة في القدم التي كانت ترويها العجائز من عصر لعصر ومن حين لحين.

اعتادت «أم سامبهو» أن تختم كل حكاية من حكاياتها، مثلها مثل كل راوي حكايات بنغالي عريق، بالصيغة المتكررة التالية:

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت يا شجرة زعرور «ناتيا»؟

لماذا ترعين بقرتكِ في عشبي؟

لماذا ترعين أيتها البقرة؟

لماذا لا يلحق بي قطيع أبقارك؟

لماذا يا قطيع الأبقار لا تلحق بالبقرة؟

لماذا لا تعطيني كُنَّتكِ الأرز؟

لماذا يا كُنَّتي لا تعطينه الأزر؟

لماذا يبكي طفلي؟

لماذا تبكي، أيها الطفل؟

لماذا عضتني النملة؟

لماذا عضضته، أيتها النملة؟

اهربوا! اهربوا! اهربوا!

ما الذي تعنيه هذه الأسطر؟ ولماذا كانت تردَّد في نهاية كل قصة؟ وما علاقة كل جزء منها بالآخر؟ لا علم لي بشيء من ذلك. لعل هذه ليست سوى خيط من الهراء وضع قصداً بعضه إلى بعض من أجل تسلية الأطفال الصغار.

لال بيهاري داي

هوغلي كوليج،

27 فبراير، 1883

اضرب لكن اسمع

عاش في قديم الزمان ملكٌ له ثلاثة أبناء. وذات يوم قدم إليه رعاياه وقالوا له: «أيها العدالة متجسدة! إن المملكة قد تعرضت لاجتياح اللصوص وقطاع الطرق. لقد صارت ممتلكاتنا في خطر. إننا نتوسل إليك أن تقبض على أولئك اللصوص وتعاقبهم».

قال الملك لأبنائه: «يا أولادي، لقد صرت شيخاً هرماً، لكنكم في ذروة شبابكم. كيف حدث أن مملكتي مليئة باللصوص؟ إني آمل أنكم ستقبضون على أولئك اللصوص».

قرر الأمراء الثلاثة أن يتناوبوا على حراسة المدينة كل ليلة. ثم أقاموا مركزاً في ضواحي المدينة أودعوا فيه خيولهم. في أول الليل، تولّى الأمير الأكبر التجوال على حصانه في المدينة كلها فلم يجد لصّاً واحداً. وعاد إلى المركز. وعند منتصف الليل أعقبه الأمير الثاني فركب جواده وجاب المدينة كلها فلم ير لصاً

واحداً فعاد هو الآخر إلى المركز. وبعد ساعات من منتصف الليل ذهب الأمير الأصغر للقيام بجولته، ولما اقترب من بوابة القصر حيث يقيم أبوه، أبصر امرأة جميلة تخرج من القصر. ابتدرها بالكلام سائلاً إياها عمن تكون وإلى أين تذهب في تلك الساعة من الليل.

أجابت المرأة: «أنا راج لاكشمي، الحارسة الالهية لقصر الملك. والملك سيقتل الليلة. ولذلك فلم تعد من حاجة لوجودي هنا».

لم يدر الأمير ما معنى هذا. وبعد برهة من التفكير، قال للإلهة: «لكن افترضي أن الملك لم يُقتل الليلة، فهل لديك مانع في أن ترجعي إلى القصر؟».

فردَّت: «لا مانع لدي».

عندئذٍ توسل الأمير إلى الإلهة أن تدخل، واعداً إياها أن يفعل ما في وسعه ليحول دون قتل الملك. رجعت الإلهة إلى القصر، وعلى الفور ذهب الأمير إلى وجهة لا يعلم بها إنسان.

قصد توّاً حجرة نوم أبيه الملك فوجده غارقاً في النوم. وكانت زوجته الثانية نائمة في سرير آخر في الحجرة ذاتها. وكان

المصباح يُرسل ضوءاً خافتاً. وكم دهش الأمير حين رأى فجأة أفعى ضخمة تلف وتدور حول سرير أبيه.

قطَّع الأمير الأفعى إلى مئة قطعة ثم وضعها في طبق أوراق التنبل والبهارات الذي كان في الحجرة. وبينما يقطِّع الأفعى، سقطت قطرة دم على صدر زوجة أبيه التي كانت نائمة غير بعيد منه. انزعج الأمير جداً، وقال لنفسه: «لقد أنقذت أبي لكنني قتلت زوجته التي تعد بمثابة أمي». كيف يمكن إزالة قطرة الدم من صدرها؟ ربط حول لسانه قطعة قماش بعد أن طواها سبع طيَّات، ثم مسح بها قطرة الدم.

لكن، وفيما يفعل ذلك، استيقظت زوجة أبيه، وفتحت عينيها، ورأت ابن ضرتها، الأمير الصغير. هبَّ الأمير خارجاً من الحجرة. فنادت الملكة زوجها وقد عزمت على تحطيم الأمير الذي تكنّ له البغضاء، قالت: «مولاي، مولاي، أأنت مستيقظ؟ أأنت مستيقظ؟ انهض. انهض. اسمع الخبر العجيب».

سألها الملك، وقد استيقظ، عن الخطب. فقالت: «الخطب يا مولاي؟ ابنك الهمام، الأمير الصغير الذي طالما تحدثت عنه بإعجاب، كان هنا في هذه الحجرة. وقد وجدته متلبِّساً بملامسة صدري. لا ريب أنه قد جاء بنية خبيثة شريرة.

هذه هي حقيقة ابنك العظيم الرائع!».

جزع الملك وصعقه الخبر. أما الأمير فقد ذهب إلى المركز حيث أخواه، لكنه لم يخبرهما بشيء.

وفي الصباح الباكر استدعى الملك ابنه الأكبر، وقال له: «لو ائتمنت رجلاً على شرفي وحياتي وأثبت خيانته، فما عقوبته؟».

أجاب الأمير: «لا ريب في أنه يجب قطع رأس هذا الرجل، لكن قبل أن تقتله، يجب أن تتأكد من خيانته».

سأله الملك: «ما قصدك؟».

«أرجو أن تصغي جلالتك:

عاش في قديم الزمان أحد الحدادين وكان له ابن بالغ راشد متزوج من امرأة تتمتع بموهبة نادرة وهي التكلم بلغة الحيوانات، لكن لم يكن أحد يعرف شيئاً عن هذا، لا زوجها ولا سواه. وذات ليلة، كانت راقدة في السرير إلى جوار زوجها في منزلهما القريب من أحد الأنهار، فسمعت ابن آوى يعوي قائلاً: «هناك جثة رجل طافية على النهر. أمن أحد يأخذ خاتم الماس الذي في إصبع الرجل الميت ويعطيني الجثة لآكلها؟».

فهمت المرأة ما قاله ابن آوى، فنهضت وذهبت إلى جانب النهر. لحق بها الرجل الذي لم يكن نائماً وظل على مسافة منها حتى لا تلاحظه. خاضت المرأة في الماء، وسحبت الجثة الطافية نحو شاطئ النهر، وأبصرت الخاتم الماسي. لكنها لم تستطع أن تخلعه بيدها لأن أصابع الجثة كانت متورمة، فقطعت الإصبع بأسنانها وتركت الجثة على الأرض خارج الماء. ثم عادت إلى فراشها حيث كان زوجها قد سبقها إليه.

استلقى الحداد الشاب بجانب زوجته خائفاً مرعوباً لأنه استنتج بعد ما رآه أن زوجته لم تكن من البشر بل راكشاساس أي من أكلة لحوم البشر والحيوانات. فقضى بقية ليلته يتقلّب في فراشه، وفي الصباح الباكر تحدث إلى أبيه قائلاً: «يا أبي، المرأة التي زوجتني منها ليست امرأة حقيقية بل هي عفريتة راكشاساس. ليلة البارحة عندما كنت راقداً في فراشي معها، سمعت في الخارج من جهة النهر عواءً مخيفاً لابن آوى. فنهضت هي، ظانّةً أنني نائم، وفتحت الباب، ومضت إلى جانب النهر. دهشت حين رأيتها تذهب وحدها في قلب الليل، فشككت شراً، ولحقت بها من دون أن تدري. وماذا تعتقد أنها فعلت؟ إنه لشيءٌ مريع، مريع حقاً! لقد خاضت في ماء النهر، وسحبت

إلى ضفة النهر جثة رجل ميت كانت طافية في الماء، ثم شرعت تأكلها! لقد رأيت هذا بأم عيني. عندئذٍ رجعتُ إلى البيت، في حين كانت منهمكة في أكل الجثة، وعدت قافزاً إلى السرير. وبعد دقائق عادت هي أيضاً وأغلقت الباب ورقدت إلى جواري. آه، يا أبي، كيف لي أن أعيش مع راكشاساس؟ لسوف تقتلني حتماً وتلتهمني ذات ليلة».

لم يكن الحداد العجوز أقل دهشة من ابنه لسماع هذا. واتفق الاثنان على ضرورة أخذ المرأة إلى الغابة وتركها هناك لتلتهما الحيوانات المفترسة. وتحدث الحداد الشاب إلى زوجته هكذا: «يا حبيبتي، من الأفضل ألا تطبخي كثيراً هذا الصباح؛ اغلي قليلاً من الأرز فقط، وحمّري باذنجانة واحدة لأنني سآخذك اليوم إلى منزل والديك المشتاقين لرؤيتك».

وعلى ذكر منزل أبيها سرّت سروراً بالغاً، وفرغت من الطبخ بسرعة فائقة. تناول الزواج فطوراً سريعاً وارتحلا معاً. كانت الطريق تمرُّ بغابة كثيفة، وفكر الحداد الشاب في سره أن يترك زوجته وحدها في هذه الغابة لتأكلها الوحوش. لكن، بينما كانا يجتازان الغابة سمعت المرأة هسهسة ثعبان، وفهمت أن تلك الهسهسة كانت تعني ما يلي: «أيها العابر، كم سأكون ممتنة لك

لو أنك أمسكت لي بذلك الضفدع الذي ينقُّ في تلك الحفرة التي هناك والتي هي ممتلئة بالذهب والأحجار الثمينة. فلتأخذ لك الذهب والأحجار الكريمة ولي الضفدع».

ذهبت المرأة صوب الضفدع، وبدأت تحفر الحفرة بعصاً. أخذ الحداد الشاب يرتعد من الخوف ظاناً زوجته «الراكشاساس» على وشك أن تقتله. نادته وقالت: «يا زوجي، خذ هذه الكمية الكبيرة من الذهب والأحجار الثمينة».

لم يدر الحداد ماذا يفعل، ولا ما قصدته، فذهب مخلوع الفؤاد إلى المكان، ولعظيم دهشته أبصر الذهب والأحجار الثمينة. أخذا قدر ما استطاعا. ولما سأل زوجته كيف عرفت عن وجود كل هذه الثروات، قالت إنها تفهم لغة الحيوانات، وإن ذلك الثعبان هناك على مقربة منهما أخبرها عنها.

وحين عرف الحداد الشاب أي زوجة عظيمة بورك بها، قال لها: «يا حبيبتي، لقد تاخرنا كثيراً اليوم، وسيكون من غير الممكن أن نصل إلى منزل أبيك قبل حلول الظلام، فأرى أن نعود إلى المنزل».

استغرقا وقتاً طويلاً كي يصلا إلى البيت لأنهما كانا محملين بكمية كبيرة من الذهب والأحجار الثمينة. ولما صارا قريبين من البيت، قال الحداد لزوجته: «يا عزيزتي، ادخلي أنتِ من الباب الخلفي، وسأدخل أنا من الباب الأمامي، وأرى أبي في دكانه وأريه كل هذا الذهب والأحجار الثمينة».

وهكذا دخلت المنزل من الباب الخلفي، وفي اللحظة التي دخلت قابلت الحداد العجوز الذي دخل في تلك اللحظة إلى المنزل لغرضٍ ما وفي يده مطرقة. لما رأى زوجة ابنه «الراكشاساس» قدَّر في ذهنه أنها قد قتلت ابنه والتهمته. لذا انهال بالمطرقة على رأسها فماتت على الفور. ولما جاء الابن إلى المنزل، كان الوقت متأخراً.

ولهذا قلت لجلالتك قبل أن تقطع رأس إنسان تأكد تماماً إن كان ذلك الانسان مذنباً حقاً».

بعد ذلك استدعى الملك ابنه الثاني، وقال: «لو ائتمنت رجلاً على شرفي وحياتي وأثبت خيانته، فما عقوبته؟».

أجاب الأمير الثاني: «لا ريب في أنه يجب قطع رأس هذا الرجل، لكن قبل أن تقتله، يجب أن تتأكد من خيانته».

سأله الملك: «ما قصدك؟».

«أرجو أن تصغي، جلالتك:

في قديم الزمان تولّى العرش أحد الملوك وكان مغرماً بالصيد. خرج ذات مرة للصيد وأخذ حصانه إلى غابةٍ كثيفة بعيدة عن حاشيته. انطلق ولم ير قرى ولا مدناً. وشعر بالعطش الشديد، لكنه لم يلمح بركةً ولا بحيرة ولا جدولاً. وأخيراً وجد شيئاً يقطر من قمة شجرة. اعتقد أنها قطرات من ماء المطر استقرت في حفرةٍ ما في الشجرة. توقف على ظهر حصانه تحت الشجرة وتلقف القطرات بكوب صغير. غير أن تلك القطرات لم تكن قطرات مطر. كان على قمة الشجرة كوبرا ضخمة تدفع غاضبة أسنانها في الشجرة، وكان سمها يخرج ويتساقط قطرات. لكن الملك ظنَّها قطراتٍ من ماء المطر، وكان حصانه يعرف أفضل منه. ولما امتلأ الكوب بسائل سم الأفعى، وكاد الملك أن يشربه، تحرَّك الحصان حركة عنيفة كي ينقذ سيده، فسقط الكوب من يد الملك وسال السائل إلى الأرض. غضب الملك غضباً شديداً من حصانه، وبضربةٍ بسيفه ضربة حزت رقبة الحصان فمات في الحال.

ولهذا قلت لجلالتك قبل أن تقطع رأس إنسان تأكد تماماً إن كان ذلك الإنسان مذنباً حقاً».

عندئذ استدعى الملك ابنه الثالث والأصغر، وقال: «لو ائتمنت رجلاً على شرفي وحياتي وأثبت خيانته، فما عقوبته؟».

أجاب الأمير الأصغر: «لا ريب في أنه يجب قطع رأس هذا الرجل، لكن قبل أن تقتله، يجب أن تتأكد من خيانته».

سأله الملك: «ما قصدك؟».

«أرجو أن تصغي جلالتك:

في قديم الزمان، تولّى العرش ملك، وكان في قصره طائرٌ بديع من فصيلة شوكا. وذات يوم، خرج الطائر إلى الحقول للاسترواح، فأبصر أمه وأباه اللذين ألحا عليه أن يذهب معهما ويقضي بضعة أيام معهما في عشهما الذي يقع في منطقةٍ نائية. أجاب الطائر أنه يسعده الذهاب، لكنه لا يستطيع أن يذهب دون إذن من الملك. وأضاف أنه سيفاتح الملك بالأمر في ذلك اليوم ذاته، ثم يذهب صباح اليوم الثاني إن جاء أبوه وأمه إلى تلك البقعة نفسها.

تحدث الطائر إلى الملك، وسمح له الملك بالذهاب على مضض لأنه كان يحبه كثيراً. وهكذا قابل الطائر في اليوم الثاني أمه وأباه في المكان المحدد، وذهب معهما إلى عشهما الذي يقع

على قمة شجرة باسقة في أرضٍ نائية. عاشت الطيور الثلاثة معاً في سعادة مدة أسبوعين، وفي نهاية هذه الفترة، قال الطائر لأمه وأبيه: «يا أبويّ الحبيبين، الملك رخّص لي أن أبقى أسبوعين، وقد انتهت هذه المدّة، وعليَّ غداً أن أغادر عائداً إلى المدينة».

وافق أبوه وأمه على اقتراحه المعقول، وأخبراه أن يأخذ معه هدية للملك. وبعد أن أمالا رأسيهما معاً لبعض الوقت، اتفقا على أن تكون الهدية ثمرةً من شجرة الخلود. وهكذا قطف الطائر في الصباح الباكر ثمرة من شجرة الخلود، وحملها بحرص بمنقاره، وبدأ رحلة العودة. ولما كان يحمل حملاً ثقيلاً، لم يتمكن من الوصول إلى المدينة في ذلك اليوم، وقضى ليلته في الطريق، حيث أوى في ظلال شجرة، ولم يدر أين يحتفظ بالثمرة. فإن هو أبقاها بين منقاريه، فإنها ستسقط حتماً حين ينام. ولحسن الحظ أنه أبصر فتحة في جذع الشجرة التي أوى إليها. فوضع الثمرة فيها. وحدث أن كان في تلك الفتحة أفعى، وفي الليل غرزت الأفعى أنيابها في الثمرة، وطلتها بالسم.

وفي الصباح الباكر، وقبل أن يصيح الديك، أخذ الطائر الثمرة بمنقاره، من دون أن يشك بشيء، واستأنف الرحلة، فوصل إلى القصر في أثناء اجتماع الملك بوزرائه. سرّ الملك لعودة

طائره المدلَّل وأعجب إلى حد بعيد بالثمرة التي جلبها له كهدية. كانت الثمرة تسر الناظر إذ كانت أجمل ثمرة في الأرض، وكما يدُّل اسمها، أنها تجعل آكلها من الخالدين.

كان الملك على وشك أن يأكلها، لكن حاشيته نصحوه ألا يفعل لأنها ربما تكون ثمرة مسمومة. لذلك رمى بها إلى ديك كان جاثماً على السور، فأكل الديك جزءاً منها؛ لكنه سقط في الحال ومات. تخيَّل الملك أن طائره قد بيَّت النية لقتله، فأمسك به وقتله. ثم أمر أن تبذر بذرة الثمرة المميتة، كما ظُنَّ، في حديقةٍ خارج المدينة. صارت البذرة بعد مدة شجرةً ضخمة تحمل ثمرة رائعة. أمر الملك أن يُنشأ سياجٌ حول الشجرة، ثم خصص لها حارسٌ خشية أن يأكل الناس ثمرتها فيموتون.

عاش في تلك المدينة أحد البراهمانيين مع زوجته وكانا يعيشان على الصدقة. وذات يوم ندب البراهماني حظه السيء، وأخبر زوجته أنه سيأكل ثمرة تلك الشجرة المميتة التي في حديقة الملك، بدلاً من أن يحيا تلك الحياة التعيسة المعتمدة على التسول. وهكذا نهض من فراشه في تلك الليلة ذاتها ليذهب إلى حديقة الملك. شكت زوجته بنيِّته، فلحقت به، وقد عزمت أن تأكل هي الأخرى من الثمرة وتموت معه.

كان الحارس في تلك الساعات من الليل نائماً، فقطف البراهماني ثمرةً وأكلها. قالت المرأة لزوجها: «إن أنت متَّ فما جدوى حياتي؟ أنا أيضاً سآكل وأموت». قالت ذلك وقطفت ثمرة وأكلتها.

ظنًّا أن السم قد يستغرق بعض الوقت حتى يفعل فعله، عادا معا إلى البيت ورقدا في فراشهما، معتقدين أنهما لن ينهضا على الإطلاق. ولدهشتهما البالغة، وجدا نفسيهما في الصباح التالي ليسا حيين فحسب بل فتيين ممتلئين بالحيوية.

لم يستطع جيرانهما أن يتعرفوا عليهما إذ صارا مختلفين تماماً. صار البراهماني العجوز وسيماً نشطاً، لا شعر أبيض يعلو رأسه، ولا تجاعيد تملأ خديه، وزوجته هي الأخرى صارت جميلة مثل سيدة من سيدات القصر.

سمع الملك بهذا التغيُّر المدهش، فأرسل في طلب البراهماني الذي أخبره بكل ما جرى. عندئذٍ شعر الملك بالندم على ما حل بطائره الحبيب، ولام نفسه لقتله إياه من دون أن يتحرّى بدقة عن المسألة».

توقف الأمير لوهلةٍ، ثم أضاف: «ولهذا قلت لجلالتك، قبل

أن تقطع رأس إنسان، تأكد تماماً إن كان ذلك الانسان مذنباً حقاً. أنا أعرف أن جلالتك تعتقد أنني دخلتُ الليلة إلى حجرة نومك بنيَّةٍ خبيثة شريرة. أرجو أن تتكرم جلالتك بالاصغاء إليَّ قبل أن تتصرّف. في ليلة البارحة أثناء قيامي بجولتي رأيت طيف امرأةٍ خارجةً من القصر. وعندما اعترضت سبيلها، قالت إنها راج لاكشمي، حارسة الإلهة في القصر؛ وإنها كانت مغادرةً القصر لأن الملك سيقتل في تلك الليلة. أخبرتها أن ترجع ووعدتها أنني سأحول دون أن يُقتل الملك.

ذهبت مباشرة إلى حجرة نومك، وأبصرت كوبرا ضخمة تلُفُّ وتدور حول السرير الملكي. فقتلتها وقطَّعتها إلى مئة قطعة، ووضعتها في طبق التنبل والبهارات. لكن، بينما كنت أقطِّعها سقطت قطرة دمٍ على صدر أمي؛ عندئذ فكرتُ أنني في الوقت الذي أنقذت أبي، فإني قد قتلت أمي.

ثم ربطت لساني بقطعة قماش بعد أن طويتها سبع طيات، ولعقت قطرة الدم. وبينما أفعل ذلك، فتحت أمي عينيها وأبصرتني.

هذا هو ما فعلته؛ والآن، فلتقطع رأسي إن أردت جلالتك».

سُرَّ الملك وامتلأ قلبه بالبهجة والامتنان، فعانق ابنه، ومنذ ذلك الحين تضاعف حبه له أكثر مما أحبه من قبل.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

مغامرات اللصين وابنيهما
الجزء الأول

في قديم الزمان عاش لصان في قرية وكانا يكسبان عيشهما من السرقة. ولما كانا لصين معروفين، فإن أي عمل من أعمال السرقة كان ينسب إليهما حتى لو لم يرتكباه، لذلك تركا القرية، وقرّرا أن يكسبا عيشهما من عمل شريف، فذهبا إلى مدينةٍ مجاورة بحثا فيها عن عمل. واشتغل الاثنان عند أحد أرباب المنازل، كان أحدهما يعتني بالبقرة، وكان الثاني يسقي نبات «الشامباكا».

بدأ اللص الأكبر في سقي النبات في الصباح الباكر، ولما كان قد طُلب منه أن يواصل صب الماء حتى يجتمع بعضه حول النبات فقد واصل سكب الماء دلواً بعد دلو ولكن من دون جدوى. فما إن كان الماء ينسكب عند سويقات النبات حتى تشربه التربة العطشى، وقد تأخر حتى ما بعد الظهيرة وكان التعب قد نال منه من كثرة ما نقله من ماء، فألقى بنفسه على الأرض وغرق في النوم.

ولم يكن حال اللص الأصغر أحسن من حال رفيقه، إذ كانت البقرة التي يعتني بها أشد الأبقار توحشاً في البلاد كلها. حين خرج من القرية إلى المرعى كانت تعدو مسرعةً إلى مسافات بعيدة وقد نصبت ذيلها. كانت تجري من حقل أرز إلى آخر، وكانت تأكل الذرة وتدوس عليها، وتدخل بين نباتات قصب السكر وتعيث فيها فساداً وتحطيماً، وكان كل ضرر أحدثته وكل انتهاك ارتكبته قد استتبعه ثمنٌ باهظ حمَّله أصحاب الحقول الراعي ذاته.

ومع الركض بعد البقرة من حقل إلى حقل، ومن حوض إلى حوض، ومع كل الكلام البذيء المنهال ليس عليه وحده فحسب، بل أيضاً على أجداده وأجداد أجداده حتى الجيل الرابع عشر، من قبل أصحاب الحقول التي أفسدت البقرة ذُرتها، مع هذا كله قضى اللص الأصغر نهاره البائس البغيض. وبعد قدر غير محدود من المتاعب، نجح عند غروب الشمس في الامساك بالبقرة وعاد بها إلى منزل سيده.

كان اللص الأكبر قد استيقظ من نومه منذ وهلة عندما رأى اللص الأصغر يعود بالبقرة. قال للِّص الأصغر: «يا أخي، لماذا تأخرت هكذا في عودتك من الحقول؟». فردَّ عليه اللص

الأصغر: «ماذا عساني أقول يا أخي؟ لقد سقت البقرة إلى ذلك الجزء من المرعى، حيث توجد بحيرة وبجانبها شجرة ضخمة. أفلتُّ البقرة وبدأت ترعى من دون أن تسبب أدنى تعب. نشرت منشفتي على العشب تحت شجرة، وهبَّ نسيم عليل فنمت، ولم أستيقظ حتى غروب الشمس، وعندما استيقظت أبصرت بقرتي الطيبة ترعى بسرور على بعد خطواتٍ مني. لكن، كيف كان يومك، أيها الأخ؟».

«أوه، أما أنا، فقد قضيت وقتاً ممتعاً. سكبت دلواً واحداً فاجتمع الماء عند أقدام النبات واستقر هناك. وبذلك انتهى عملي، وكان يومي كله لي. رقدت على الأرض، وظللت أتأمل في حياة البهجة الجديدة هذه، صفَّرت، وغنيت، ثم غرقت في النوم. ولم أنهض إلا هذه اللحظة».

ولما انتهى هذا الحديث، صدّق اللص الأكبر أن ما قاله اللص الأصغر صحيح، وفكر أن رعي البقرة كان أكثر راحةً من سقي النبات. وصدق اللص الأصغر، للسبب ذاته، أن سقي النبات أكثر راحة من رعي البقرة: لذلك قرّر كلٌّ منهما أن يستبدل عمله بعمل الآخر.

قال اللص الأكبر: «حسنا يا أخي. لديَّ رغبة في أن أرعى البقرة. هب أنك غداً اشتغلت شغلي وأنا اشتغلت شغلك. فهل لديك مانع؟».

«على الإطلاق. لسوف أكون سعيداً أن أقوم بعملك، وأنت أهلاً وسهلاً بك، قم بعملي. لكن دعني أعطك نصيحة صغيرة. لقد شعرت أنه من غير المريح أن أنام طوال النهار على الأرض العارية. لو أنك أخذت معك سريراً من الحبال - شاربوي - فستتمتع بيومك أكثر».

وفي صباح اليوم التالي خرج اللص الأكبر مع البقرة إلى الحقول، ولم ينس أن يأخذ معه السرير من أجل راحته وسكينته. وبدأ اللص الأصغر يسقي النبات ظاناً أن دلواً واحداً أو دلوين من الماء سيكونان على الأرجح كافيين. وكم كانت دهشته حين تبين أن مئة دلو لم تكن كافية ليستقر قليل منها عند أقدام النبات. شعر بالإرهاق الشديد من نقل الماء، وكانت الشمس على وشك الغروب، لكن عمله لم ينته. وأخيراً انسحب من العمل بعد أن أعياه التعب.

ولم يكن اللص الأكبر في الحقول أحسن حالاً من رفيقه. ساق البقرة إلى جوار البركة التي تحدث عنها اللص الأصغر، ووضع

سريره تحت الشجرة الضخمة، ثم أفلت البقرة لترعى. وما إن فعل ذلك حتى انطلقت تعدو في المرج قافزة فوق الأسيجة والخنادق، جارية في حقول الأرز، مكسّرة نباتات قصب السكر. لم يستطع اللص الأكبر أن يستقر أو يهدأ ولو لوهلةٍ واحدة. كان عليه أن يجري ويجري طوال النهار، وأن يتحمّل السباب والإهانات من أصحاب الحقول المنتهكة. لكن أسوأ ما ناله هو أنه كان عليه أن يجري في المرج حاملاً فراشه على رأسه إذ لم يستطع أن يضعه في أي مكان خشية أن يأخذه أحد.

حين رأى الرعاة الآخرون اللص الأكبر يجري خلف البقرة بسرعة انقطعت معها أنفاسه وهو يحمل فراشه على رأسه، أخذوا يصفقون ويطلقون الصيحات هازئين ساخرين. ندم البائس المسكين على تغيير عمله مع اللص الأصغر وقد بلغ منه الغضب والتعب والجوع كل مبلغ.

بعد الاجهاد الشديد، وبمساعدة الرعاة الآخرين، أمسك أخيراً بالبقرة الغالية، وعاد بها إلى البيت بعد أن أسرجت القرية مصابيحها.

وحين التقى اللصان في منزل سيدهما، أخذا يضحكان أحدهما على الآخر من دون أن يتفوها بكلمةٍ واحدة. فرغا من عشائهما، واستلقيا ليستريحا، ودارت بينهما المحادثة التالية:

قال اللص الأصغر: «حسنا، كيف كان يومك، أيها الأخ؟».
فرد الأكبر: «تماماً كيومك، وربما أفضل قليلاً».

«أنا أرى أن عملنا السابق كان أفضل بما لا يقاس من هذا العمل الشريف كما يسميه الناس».

«وأي شك في ذلك؟ لكن، أقسم بالآلهة أنني لم أر بقرةً كهذه. ما من بقرة في الدنيا تشبهها أدنى شبه في جنونها وتوحشها».

«البقرة المتوحشة المجنونة ليست أمراً نادراً. لقد رأيت بعض الأبقار المجنونة. لكن، هل سبق لك أن رأيت نباتاً مثل نبات الشامباكا هذا الذي طُلب منك أن تسقيه؟ إنني مندهش مما كان يحدث لكل ذلك الماء الذي سكبته حوله. هل هناك خزان تحت جذوره؟».

«لقد خطرت لي فكرة أن أحفر حول النبات لأرى ما تحته».

«لعل من الأفضل لنا أن نفعل ذلك هذه الليلة حين ينام الرجل الطيب هو وزوجته».

وعند منتصف الليل أخذ اللصان المجارف والرفوش وبدآ الحفر حول النبات. بعد أن حفرا حفرة كبيرة أدرك اللص الأصغر شيئاً صلباً اصطدم به رفشه. تضاعف فضولهما. تبين اللص الأصغر أن ذلك الشيء هو جرة كبيرة، أدخل يده فيها ووجد أنها مليئة بالذهب القديم. لكنه قال للص الأكبر: «أوه، لا شيء هنا، إنها مجرد حجرة كبيرة».

بيد أن اللص الأكبر شك أنها شيءٌ آخر؛ غير أنه رأى ألا يظهر أدنى إشارة على شكه. اتفقا معاً على أن يكفا عن الحفر إذ لم يجدا شيئاً؛ ثم عاد إلى فراشهما للنوم. وبعد ساعة أو ساعتين، حين رأى اللص الأكبر أن رفيقه نائم، انسل بصمت وذهب إلى الحفرة. أبصر الجرة مملوءة ذهبا خالصاً. وحفر بجانبها فوجد جرة أخرى مملوءة ذهباً.

قرر أن يأخذ الكنز وقد غمرته البهجة. أخذ الجرتين، وذهب إلى البركة القريبة التي كان يغرف منها الماء من أجل النبات، ودفن الجرتين في الوحل على حافة البركة. عاد بعد ذلك إلى المنزل واستلقى إلى جانب اللص الأصغر وغطّ في النوم.

بعدئذ استيقظ اللص الصغير الذي كان أول من عثر على الجرة، وانسل من فراشه وذهب ليخرج الكنز الذي عثر عليه. ولما وصل إلى الحفرة لم يجد شيئاً، ظن على الفور أن رفيقه اللص الأكبر قد أخفاه في مكانٍ ما، فعاد إليه، وهو يفكر بطريقة يكتشف بها أي علامات في جسده عن المكان الذي أخفى فيه الكنز. فحص جسده وملابسه بعين محقّق، فأبصر وحلاً على قدميه قريباً من عقبيه. أدرك تواً أن الكنز قد أخفي في مكان ما في البركة. لكن أين؟ في أي بقعة منها؟ على أية حافة؟ لم تخذله براعته هنا.

تمشى حول حواف البركة الأربع، ولما تمشى حول ثلاث منها تقافزت الضفادع منها إلى الماء، لكن ما من ضفدع قفز من الجهة الرابعة. استنتج أن الكنز لابدّ من أن يكون مدفوناً في هذه الجهة. سرعان ما وجد الجرتين المملوءتين ذهباً، فأخرجهما وذهب إلى إصطبل البقرة المتوحشة وأخرجها ووضع الجرتين على ظهرها. غادر المنزل واتجه صوب قريته.

استيقظ اللص الأكبر عند صياح الديك، واندهش حين لم يجد رفيقه بجواره. أسرع إلى البركة فلم يجد الجرتين هناك. وذهب إلى الإصطبل، فلم يجد البقرة. استنتج في الحال أن اللص

الأصغر قد فر بالكنز على ظهر البقرة. فأين يمكنه أن يذهب يا ترى؟ لم يضع وقتاً، وقرر أن ينطلق ليدرك اللص الأصغر.

وهو يجتاز المدينة، وضع كل ما معه من نقود في زوج من الأحذية الثمينة وغطاها بأشرطة ذهبية اللون. مضى بسرعة متحاشياً طريق المارة وسائراً في الطرق القصيرة. لمح اللص الأصغر ماضياً ببطء مع بقرته. فسبقه من طريق آخر أسرع وبقي على مسافة مائتي ياردة منه، وألقى في الطريق أحد الحذائين، ثم مضى مائتي ياردة أخرى وألقى بالحذاء الآخر في موضع غير بعيد من شجرة ضخمة حيث توارى خلف أوراقها الكثيفة.

أقبل اللص الأصغر في الطريق العام فأبصر الحذاء الأولى، وقال لنفسه: «يا للحذاء الجميل! إن رباطه من الذهب. لا شك أنه يلائمني في ظروفي الحالية الآن بعد أن صرت ثرياً. لكن، ماذا أفعل بفردةٍ واحدة؟».

واصل سيره، وسرعان ما وجد الفردة الأخرى. قال يحدث نفسه: «آه، ها هي ذي الفردة الثانية! أي مغفل أنا إذ لم أخذ الفردة الأولى! مهما يكن، فلم يتأخر الوقت بعد». ربط البقرة إلى الشجرة، ثم عاد لأخذ الحذاء الأولى التي تبعد مائتي ياردة.

في هذه الأثناء، نزل اللص الأكبر من الشجرة، وفك رباط البقرة وساقها نحو قريته مسقط رأسه، متحاشياً الطرقات العامة. عندما رجع اللص الأصغر إلى الشجرة لم يجد البقرة. عرف، بطبيعة الحال، أن ما من أحد غيرِ اللص الأكبر فعل ذلك. مضى بأقصى سرعة مطلقا ساقيه للريح، ووصل قريته قبل الآخر بوقت طويل. اختبأ قريباً من باب منزل اللص الأكبر. وفي اللحظة التي وصل فيها هذا مع البقرة، ابتدره الأول قائلاً: «لقد وصلت بالسلامة أيها الأخ. هيا بنا ندخل ونقتسم النقود».

وافق اللص الأكبر على هذا الاقتراح. وفي أقصى ركن في البيت أُنزلت الجرتان من ظهر البقرة، ودخلا غرفة بعد أن أغلقا الباب، وبدءا يقتسمان. كانت يدٌ واحدة تلتقط قطعتين ذهبيتين وتضع واحدة في مكان والأخرى في مكان، واستمرا على هذه الحال حتى فرغت الجرتان. وبقيت قطعة واحدة. وكان السؤال هو: من يأخذها؟ واتفقا على أن يصرفاها في اليوم التالي ثم يقتسمان العملة الذهبية بالتساوي. لكن مع من تبقى تلك القطعة حتى الغد؟ وتشاجرا حول هذه المسألة. وبعد أخذٍ ورد بقيت القطعة مع اللص الأكبر على أن تُصرف غداً وتقسم بالتساوي.

في الليل، قال اللص الأكبر لزوجته وللمرأة الأخرى في البيت: «انظرا هنا، أيتها السيدتان، اللص الأصغر سيجيء صباح الغد يطلب نصيبه من القطعة الذهبية المتبقية، لكني لا أريد أن أعطيه إياها. افعلا أمراً واحداً غداً. انشرا قطعة قماش على الأرض في الفناء، وسأستلقي عليها متظاهراً بالموت، ولكي تقنعا الناس بأني ميت، ضعا أعواد الريحان المقدس -تولاسي- بجانب رأسي. وعندما تريان اللص الأصغر آتياً نحو الباب أطلقا نواحاً عالياً. حينئذ، سيغادر ولا أدفع له نصيبه».

وافقت المرأتان على ما فكرته، وفي ظهيرة اليوم التالي، استلقى اللص الأكبر على قطعة قماش في الفناء كالجثة وأعواد الريحان المقدس بجانب رأسه. جاء اللص الأصغر واقترب من البيت، فأطلقت المرأتان النواح والعويل، فاقترب أكثر فأكثر ليرى ما حدث، قالتا له: «أوه، أين ذهبتما معاً؟ وما الذي جلبتماه؟ وما الذي فعلته به؟ انظر لقد مات». قالتا ذلك، وملأتا الفضاء بالصراخ والبكاء. نظر اللص الأصغر من الثقب، وقال: «حسن، إنه ليؤسفني أن صديقي وأخي قد قضى نحبه. لابدَّ لي الآن من أن أعتني بجنازته. انصرفا من هنا، أنتما مجرد امرأتين. سوف أتأكد أن الجثمان قد أحرق جيداً».

أحضر كميةً من الأعواد، وحزمها بحبل وربطه بشدة إلى قدمي الرجل المتوفي وبدأ يسحبه قائلاً إنه سيأخذه إلى مكان الحرق.

وبينما كان اللص الأكبر يُسحب في الشوارع، تجرَّح جسمه وملأته الكدمات، لكنه ظل على سكينته عازماً على تمثيل دوره، ومتفلّتاً من دفع ذلك القسط من الذهب. غربت الشمس حين وصل اللص الأصغر مع الجثة إلى مكان الحرق. وفي الوقت الذي كان يستعد لإحراق الجثة، تذكر أنه لم يحضر معه ناراً. فإن هو ذهب لجلب النار وترك الجثة خلفه، فإن اللص الأكبر لا شك سيهرب فما الذي يفعله؟

أخيراً ربط الحبل إلى فرع شجرة وأبقى الجثة المتظاهرة معلقة في الهواء، ثم تسلق هو وجلس على فرع الشجرة، وظل متشبّثاً بالحبل بقوة حتى لا ينقطع فيهرب اللص الأكبر. وبينما هما على هذه الحال، مرت مجموعة من اللصوص، فرأوا الجثة معلقة. قال رئيس العصابة: «إغارتنا هذه قد بدأت بدايةً ميمونة جداً. فالبراهمانيون الحكماء يقولون إنك إن بدأت رحلتك بمشاهدة جثة، فإن هذا فأل حسن. حسن، هآ نحن أبصرنا جثة، فالأرجح أننا سنلاقي نجاحاً هذه الليلة. إن حدث، فأنا أرى شيئاً واحداً: عند عودتنا سنبدأ أولاً

بحرق هذه الجثة وبعد ذلك نعود إلى البيت».

وافق اللصوص على هذا الاقتراح. وبعدها دخلوا منزل رجل ثري في القرية، قتلوا المقيمين فيه، وسرقوا كل ما فيه من ثروات وانسلوا هاربين دون أن يتحرك فأر في القرية. ولما أحرزوا نجاحاً باهراً، قرروا وهم عائدون أن يحرقوا الجثة التي رأوها. عندما وصلوا إلى المكان وجدوا الجثة معلقة كما كانت، لأن اللص الأكبر لم يكن قد فتح فمه خشية أن يدفع نصيب رفيقه من قطعة الذهب. حفر اللصوص حفرة في الأرض، وأحضروا الحطب ووضعوه في الحفرة. أنزلوا الجثة من الشجرة، ووضعوه على المحرقة، ولما أوشكوا أن يشعلوا النار، أطلقت الجثة صرخة غير أرضية وقفزت. وفي تلك اللحظة قفز اللص الأصغر من الشجرة وقد صرخ صرخة مشابهة.

ذعر اللصوص إلى أبعد حد، إذ اعتقدوا أن روحاً شيطانية - دانا - قد سكنت الجثة، وأن شبحاً قد قفز من الشجرة. ففروا مرعوبين تاركين وراءهم النقود والمجوهرات التي حصلوا عليها من السرقة. ضحك اللصان من أعماق قلبيهما، وأخذا كل الثروة التي تركها اللصوص وعادا إلى البيت وعاشا سعيدين لأمد طويل.

الجزء الثاني

كان لكل من اللصين الأكبر والأصغر ابن واحد. ولما كانا ناجحين في ممارسة فن السرقة، قررا أن يعلما ابنيهما الحرفة ذاتها. كان في القرية أستاذ مشهور في علم الاحتيال يدرس الطلاب ويعطيهم دروساً في ذلك العلم الصعب. أودع السارقان ابنيهما عنده. وقد تميّز ابن اللص الأكبر عند معلمه تميُّزا ملحوظاً وأظهر قدرات يبزُّ بها أباه في فن السرقة.

اختُبرت مهارات الولد على النحو التالي: غير بعيد من منزل المعلم، عاش رجل فقير في كوخ تسلّق إلى سقفه القشي أحد زواحف الأرض. وفي وسط ذلك القش وهو أعلى الكوخ ثمره يقطين رائعة. كان الرجل وزوجته يتعهدانها ليل نهار. كانا -بالتأكيد- ينامان في الليل، لكن سقف القش قد كان قديماً جداً وواهناً لدرجة لو أن فأراً صعد إليه لتساقطت أجزاء من القش والتراب إلى داخل الكوخ حيث ينام الرجل وزوجته بجوار اليقطينة، ولذا فقد كان شبه مستحيل أن تُسرق اليقطينة من دون علم الزوجين.

قال المعلم لتلاميذه -لأن لديه الكثير منهم- إن من يسرق اليقطينة من دون أن يُكتشف فسيعلن أنه الأفضل في المدرسة. قبل ابن اللص الأكبر هذا التحدي. وقال إنه سيسرق اليقطينة إن سُمِح له أن يستخدم ثلاثة أشياء هي خيط وقطّ وسكين. فسمح له المعلّم باستعمال هذه الأشياء الثلاثة.

وبعد ساعتين أو ثلاث من حلول الظلام، جلس الفتى ومعه الأشياء الثلاثة خلف سقف القش تحت الإفريز، وجعل يصغي للمحادثة التي دارت بين الرجل وزوجته المستلقيين في الفراش. وبعد وقت قصير كفّا عن الحديث. فاستنتج الفتى أنهما قد ناما. انتظر نصف ساعة أخرى، ولما لم يسمع صوتاً في الداخل، تسلق بخفة إلى السقف، تساقطت أجزاءٌ من القش والتراب وسقطت فوق النائمين. استيقظت المرأة وأيقظت زوجها قائلة: «انظر، أحدهم يسرق اليقطينة!»

في تلك اللحظة ضغط الفتى على رقبة القطْ، فصاح على الفور: «ميو! ميو! ميو!» قال الرجل: «ألا تسمعين القط يموء؟ لا يوجد لص، إنما هو القط».

قطع الفتى حينها اليقطينة بسكينه وربطها بالخيط إلى ساقها. لكن أنّى له أن ينزل من دون أن يُكتشف ويُقبض عليه خاصة بعد

أن استيقظ الزوجان؟ لم تقتنع المرأة بفكرة القط وحدها، فارتجاج السقف وتساقط أجزاء القش والتراب المتواصل، جعلها تفكر بأن إنساناً ما كان على السقف. فطلبت من زوجها أن يخرج ويرى إن كان أحدٌ هناك، لكنه قال لها إنه قط فحسب.

وبينما يتجادلان، قذف الفتى القط بقوةٍ على الأرض، فأحدث الحيوان المسكين هريراً ومواء صاخباً؛ فقال الرجل لزوجته بصوتٍ عال: «هاه، هل سمعتِ؟ هل اقتنعت الآن أنه مجرّد قط؟».

وخلال الضجة التي أحدثها قذف القط وحديث الرجل بصوت عالٍ، نزل الفتى بخفة من السقف واليقطينة مربوطة بالخيط. وفي صباح اليوم التالي أحضر الفتى اليقطينة إلى معلمه، وحكى له ولزملائه المعجبين الطريقة التي نفذ بها سرقته. ذهل المعلّم، وعلّق بقوله: «فرخ البطّ عوّام!».

أما اللص الأكبر، والد العبقري المنتظر، فلم يكن مقتنعاً بأي حال أن ابنه صار مستعداً لدخول هذا العالم. وكان يريده أن يزيد من مهاراته. قال مخاطباً ابنه: «يا بني، إن استطعت أن تفعل ما أقول لك، حينها سأصدق أنك صرت مؤهلاً لدخول عالم العمل، عليك أن تسرق السلسلة الذهبية من حول عنق الملكة».

وافق الولد الموهوب على التحدي.

قام اللص الشاب –هذا ما سندعو به ابن اللص الأكبر الآن– باستطلاع القصر الذي يعيش فيه الملك والملكة. استكشف البوابات الأربع والأسوار الداخلية والخارجية، وجمع بطريقةٍ عرضية قدراً كبير من المعلومات من الناس الذين يقيمون في الجوار تتعلق بعادات الملك والملكة، وفي أي جزء من القصر يناما‌ن، وأي نوع من الحراسة لغرفة نومهما، ومن – إن كان هناك أحد – ينام في الحجرة الأمامية.

متسلحاً بهذه المعلومات، حدد اللص الشاب موعداً ذات ليلة مظلمة للقيام بالعمل المطلوب الذي تحداه به أبوه. راح يجوس حول بوابة الأسد في القصر. قبل الوصول إلى جناح الحريم لا بد من اجتياز أربع أبواب، وبوابة الأسد هي إحداها، وكل بوابة منها محروسة بستة عشر حارساً من أقوياء البنية. مهما يكن، فإنهم لا يبقون كلهم في أثناء الليل في أماكنهم.

ولأن للملك عدداً لا يحصى من الجنود تحت طلبه، فإن حراس تلك الأبواب يصرفون كل ساعة، لذلك يتواجد في كل ساعة اثنان وثلاثون حارساً دفعة واحدة، وهم مجموع الآتين والذاهبين.

اختار اللص الشاب تلك اللحظة بالذات لدخول كل باب من الأبواب الأربعة. في لحظة الانصراف عندما أبصر الزحام عند بوابة الأسد حيث تواجد اثنان وثلاثون رجلاً، التحق بالجمع من دون أن يلحظه أحد، عندئذ قضى الساعة التي تسبق التغيير التالي في الفناء الواسع والحديقة التي بين البابين، من دون أن يُلحظ بسبب الظلام وبسبب سواد ملابسه.

وبالطريقة ذاتها، اجتاز الباب الثاني والثالث والرابع. والآن لاحت له غرفة الملكة وجهاً لوجه. كانت في الدور الثالث، وكانت مضاءة إضاءة ساطعة، وسمع صوت نسائي خفيض يردّد شيئاً بطريقة غير مفهومة. ظن اللص الشاب أن الصوت يمكن أن يكون صوت الخادمة تروي حكاية لأنه عَلِم أن تلك كانت واحدة من عادات القصر كل ليلة لمساعدة الملكة والملك على النوم.

لكن كيف يصعد إلى الدور الثالث؟ كانت الأبواب الداخلية كلها مقفلة، وكان الحراس في كل مكان. لكن اللص الشاب أحضر معه مطرقة ومسامير؛ فلماذا لا يدق المسامير في الجدار ثم يتسلق عليها؟ صحيح، لكن ما سيحدثه من أصوات سيوقظ الحراس، وربما الملك نفسه والملكة، في كل حال فإن الخادمة التي تروي الحكايات ستعطي تنبيهاً.

كان عبقرينا قد حسب الأمر بدقة قبل أن يباشر العمل. ثمة ساعة مائية في القصر تبين الساعات، وفي نهاية كل ساعة تصدر طنيناً هائلاً، لا يُسمع في القصر وحده، بل في معظم أرجاء المدينة، ثم إن سمة هذا الطنين الخاص، مثلها مثل كل طنين صيني، هي أنه لابدّ من أن ينقضي زهاء دقيقة بين كل رنتين مما يسمح بسماع صوت كل رنة كاملاً.

وهكذا حدد اللص الشاب الوقت المناسب الذي عليه أن يدق المسامير فيه على الجدار وهو في نهاية كل ساعة. حين دق جرس الساعة العاشرة عشر مرات، وجد اللص أن من السهل عليه أن يدقّ عشرة مسامير في الجدار. وعندما توقف الجرس توقف اللص وجلس أو وقف بهدوء على المسمار التاسع ممسكاً بالعاشر. وفي الساعة الحادية عشرة، دق أحد عشر مسماراً بالطريقة ذاتها، وصعد أعلى من الدور الثاني، وفي الساعة الثانية عشرة صار فوق العلية حيث الحجرة الملكية.

تلصَّص إلى الداخل، فأبصر خادمة ناعسة تحكي حكاية في حين كان من الواضح أن الملك والملكة نائمان. مضى خلسة خلف الخادمة راوية الحكاية وجلس. كانت الملكة نائمة بجوار الملك على سرير ذهبي وثير.

وكانت السلسلة الذهبية حول عنق الملكة تلمع في ضوء الشموع.

استمع اللص بهدوء إلى القصة التي ترويها الخادمة التي ازداد نعاسها. توقفت لثانية، وهزّت رأسها ثم استأنفت القص. كان من الواضح تماماً أنها واقعة تحت سطوة النوم الجبارة. احتز اللص في لحظة رأس الخادمة بسيفه، وواصل هو لبضع دقائق قص الحكاية التي كانت ترويها.

لم يدرك الملك والملكة شيئاً عن أي تغيير إذ كانا قد غرقا في النوم العميق. جرّد القتيلة من ملابسها وارتداها هو، وربط ملابسه في صرّةٍ، ومضى بخفة ونزع السلسة الذهبية من عنق الملكة. ثم من خلال الحجرات في أسفل السلالم أمر الحارس الذي في الداخل أن يفتح الباب لأنها كانت مضطرة أن تخرج من القصر لأغراضٍ ملحة.

رأى الحارس أنها خادمة الملكة، فسمح لها بالخروج، وبالطريقة والحجة ذاتهما خرج من الأبواب الأخرى حتى بلغ الشارع. في تلك الليلة ذاتها، أو فلنقل في ذلك الصباح، وضع اللص الشاب في يدي أبيه سلسلة الملكة الذهبية. لم يستطع اللص الأكبر أن يصدّق عينيه، إذ بدا له الأمر مجرد حلم.

لم يكن لسروره حدود، فقال لابنه: «رائع، يا بني. أنت لست بارعاً كأبيك فحسب، بل لقد جعلتني أبدو متطفلاً على المهنة. فلتمنحك الآلهة العمر المديد».

عندما استيقظ الملك والملكة صباح اليوم التالي، ونهضا من سريرهما، صعقا حين أبصرا الخادمة تسبح في بركة من الدم. ووجدت الملكة أيضاً أن سلسلتها الذهبية لم تعد حول عنقها. لم يستطيعا أن يفهما كيف حدث كل هذا. وكيف استطاع أي لصّ أن يروغ من كل الحراس الشجعان؟ كيف استطاع أن يدخل إلى حجرة نوم الملك؟ ثم كيف استطاع أن يهرب؟

تبين للملك من تقرير الحراسة أن شخصاً دعى نفسه الخادمة الملكية خرج من القصر قبل الفجر بساعةٍ أو ساعتين. أجريت كل أنواع التحريات من دون جدوى. ثم أعلن في المدينة عن جائزة ضخمة لمن يقدم معلومات توصل إلى اللص والقاتل. لكن، لا أحد استجاب لهذا النداء.

وأخيراً، أمر الملك بإحضار جملٍ إليه. وعلى ظهر ذلك الجمل وضعت حقيبتان كبيرتان مملوأتان بالذهب الخالص. ثم أُمِر المسؤول عن الجمل أن يسير في كل جزء من المدينة معلناً التحدي التالي: «بما أن اللص كان يمتلك الجرأة والبراعة واستطاع

سرقة سلسلة الملكة من عنقها، فليظهر جرأته وبراعته أكثر ويسرق الذهب الخالص الذي على ظهر الجمل».

ظل الجمل نهارين وليلتين يجوب المدينة ولم يحدث شيء. وفي اليوم الثالث، وبينما كان سائس الجمل يواصل تجواله، ابتدره ناسك جالسٌ على فروة نمر أمام نار، وبجواره ملقاطان هائلان، هذا الناسك لم يكن أحدٌ سوى اللص الشاب متنكراً. قال الناسك لسائس الجمل: «أيها الأخ، لماذا أنت ماضٍ في شوارع المدينة على هذه الحال؟ من تراه يجرؤ على سرقة جمل الملك. انزل، أيها الصديق، وخذ نفساً معي من هذا التبغ».

ترجَّل الرجل عن ظهر الجمل وربطه إلى شجرةٍ في البقعة ذاتها، وأخذ يدخن. لم يزوده الراهب بالتبغ فقط، بل أيضاً زوَّده بـ «الجانجا»[1] وغيرها من المخدرات المسكرة، وسرعان ما صار ثملاً وغرق في النوم. ساق اللص الشابُّ الجمل والكنز على ظهره، في قلب الليل، وفي الأزقة الضيقة حتى وصل إلى بيته. وفي تلك الليلة ذاتها قتل الجمل، ودفنه في باطن الأرض. ولم يستطع أحدٌ أن يعثر له على أثر.

(1) الأفيون (المؤلف).

حين سمع الملك في صباح اليوم التالي أن سائس الجمل وجد مستلقياً ثملاً في أحد الشوارع، وأن الجمل قد اختفى مع الكنز الذي على ظهره، تميز غيظاً.

وأُعلن في المدينة ثانية أن من يمسك باللص سيحصل على مئة ألف روبية مكافأة. ابن اللص الأصغر، الذي كان أيضاً في مدرسة الاحتيال ذاتها مع ابن اللص الأكبر، مع أنه لم يُظهر أي تميُّز ملحوظ، جاء دوره الآن. فتقدَّم وقال إنه سيقبض على اللص. كان -بالطبع- يشك بأن ابن اللص الأكبر لابدّ من أنه هو الذي فعل هذا كله، إذ من يمكن أن يمتلك مثل جرأته وبراعته؟

وفي مساء اليوم التالي، تنكر ابن اللص الأصغر في زي امرأة، وجاء إلى ذلك الجزء من المدينة الذي يسكن فيه اللص الشاب، وبدأ يبكي بحرقة، وينتقل من باب لباب قائلاً: «أيها السادة، ألا يستطيع أحدٌ منكم أن يعطيني قطعة من لحم الجمل، لأن ابني يحتضر، والأطباء يقولون إن أكل لحم الجمل سينقذ حياته. أشفقوا عليَّ، أعطوني قليلاً من لحم الجمل».

وأخيراً، وصل إلى منزل اللص الشاب، وتوسل للمرأة -لأن اللص نفسه لم يكن موجوداً- أن تخبره أين يمكنه الحصول على قطعة من لحم الجمل لأن ابنه سيموت حتماً إن لم يحصل على

شيء منه. قال ذلك وملأ الجو صراخاً وعويلاً، ثم ركع عند قدمي زوجة اللص الشاب. وعلى الرغم من أنها زوجة لص، إلا أنها كامرأة شعرت بالشفقة على هذه «المرأة»، وقالت:

«انتظري، وسأحاول أن أحصل على قطعة من لحم الجمل لابنك».

قالت ذلك وذهبت سراً إلى البقعة التي دفن فيها الجمل الميت، وأحضرت قطعة صغيرة منه وأعطتها «للمرأة». كان ابن اللص الأصغر الآن نشوان من الفرح. ذهب وأخبر الملك أنه قد نجح في تعقب اللص، وأنه مستعدٌ لتقديم اللص إن أرسل الملك بعض الشرطة معه. وفي الليل قبض على اللص الأكبر وابنه، وأخرجت جثة الجمل، وأخذت الكنوز التي في المنزل.

في الصباح التالي، جلس الملك لإصدار الحكم. اعترف ابن اللص الأكبر أنه سرق سلسلة الملكة الذهبية، وقتل خادمتها، وأخذ الجمل، لكنه أضاف أن الشخص الذي اكتشفه، هو وأبوه -اللص الأصغر- هما أيضاً لصان وقاتلان، وقدَّم على ذلك براهين لا تدحض. ولما كان الملك قد وعد أن يعطي مئة ألف روبية لمكتشف اللص، فإن ذلك المبلغ قد وُضِعَ أمام ابن اللص الأصغر. لكنه أمر بعد ذلك مباشرة أن تحفر أربع حفر في الأرض

دفن فيها مع كل أصناف الشوك اللصان وابناهما أحياءً.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

البراهماني الشبح

في قديم الزمان عاش براهماني فقير، ولأنه لم يكن براهمانياً أصيلاً، فقد وجد أن أصعب شيءٍ في العالم هو أن يتزوج. كان يذهب إلى أغنياء الناس ويرجوهم أن يعطوه نقوداً لعله يستطيع أن يتزوج. كان يحتاج إلى مبلغ كبير، ليس لتغطية تكاليف الزواج بل لكي يعطيه لوالدي العروس. ذهب يتسول من باب لباب، متزلِّفاً للأغنياء، حتى نجح آخر الأمر في جمع المبلغ المطلوب بشق الأنفس. وتم الزواج في الموعد المحدد، وأحضر زوجته إلى أمه. وبعد وقت قصير قال لأمه: «أمّاه، ليس أمامي من وسيلة لإعالتك أنت وزوجتي؛ ولذا فلابد لي من الارتحال إلى بلاد بعيدة لأحصل على المال بطريقة أو بأخرى. قد أغيب لسنوات لأني لن أرجع حتى أجمع مبلغاً لا بأس به. والآن سأعطيك كل ما معي، وعليك أن تتدبري الأمر وتعتني بزوجتي».

باركته أمه وارتحل. وفي مساء ذلك اليوم نفسه، ظهر شبح في البيت متخذاً صورة البراهماني تماماً. ظنَّت زوجته أنه زوجها،

وقالت له: «ما هذا، كيف عدت بهذه السرعة؟ ألم تقل إنك ستبقى لسنوات: لِمَ غيرّت رأيك؟».

قال الشبح: «اليوم ليس يوماً محظوظاً، لذلك عدت إلى البيت، وفضلاً عن ذلك، لقد حصلت على بعض النقود».

ولم تشك الأم، بل صدقت أنه ابنها. وهكذا عاش الشبح في البيت كأنه مالكه، وابن المرأة العجوز وزوج الزوجة التي تزوجت حديثاً. ولأن الشبح والبراهماني كانا يشبهان أحدهما الآخر شبهاً تاماً كأنهما بذرتا بازلاء، فإن كل الناس في الحي اعتقدوا أن الشبح هو البراهماني الحقيقي.

وبعد سنوات عاد البراهماني من سفره؛ وكم كانت دهشته حين وجد في المنزل شخصاً آخر يشبهه تماماً. قال الشبح للبراهماني: «من أنت؟ وماذا جئت تفعل هنا في منزلي؟». ردَّ البراهماني: «من أنا؟ دعني أسألك من أنت. هذا منزلي، وهذه أمي، وهذه زوجتي». قال الشبح: «غريب! نعم، إنه لشيء غريب. كل الناس تعرف أن هذا هو منزلي، وهذه زوجتي، وتلك أمي، وقد عشت هنا منذ سنوات عديدة. وها أنت تدّعين أن هذا منزلك، وأن تلك المرأة زوجتك، لابدّ من أنك قد جننت، أيها البراهماني».

قال الشبح هذا وأخذ يخرج البراهماني من المنزل. أخرست المفاجأة البراهماني. ولم يدر ما يفعل. وفي النهاية فكَّر أن يذهب إلى الملك، ويضع قضيته بين يديه.

أبصر الملك البراهماني الشبح والبراهماني، فكان أحدهما يطابق الآخر تماماً، فتحيَّر الملك، ولم يدر كيف يحسم الخلاف. ويوماً بعد يوم ذهب البراهماني إلى الملك يرجوه أن يعيد له منزله وزوجته وأمه؛ وفي كل مرة لم يدر الملك ما يقوله له، بل كان يؤجل إلى اليوم التالي. كان يقول له في كل مرةٍ: «تعال غداً».

وفي كل يوم كان البراهماني يغادر القصر باكياً خابطاً جبينه براحة يده، قائلاً: «أي عالم خبيث هذا! لقد طُردت من بيتي، وأخذ شخص آخر بيتي وزوجتي! وأي ملك هذا! إنه لا يحكم بالعدل».

ثم حدث أن البراهماني وهو يمر كل يوم خارج محكمة المدينة كان يجتاز بقعة يتجمَّع فيها عدد كبير من رعاة البقر الأطفال يلعبون. كانوا يتركون الأبقار ترعى في المرج، ثم يلتقون تحت شجرة هائلة يلعبون لعبة المملكة حيث يُختار أحد الأطفال ملكاً، وآخر رئيس وزراء أو وزيراً وآخر مسؤول شرطة، وآخرون يلعبون دور العساكر.

كل يوم كان أولئك الأطفال يشاهدون ذلك البراهماني مارّاً وهو يبكي. وفي أحد الأيام سأل ملكهم وزيره عما إذا كان يعرف لماذا يبكي البراهماني، فلم يستطع الوزير أن يجيب، فأمر الملك أحد العساكر أن يحضر البراهماني إليه. ذهب أحدهم إليه وقال له: «الملك يريدك أن تقف بين يديه في الحال».

«لماذا؟ لقد جئت الآن من قصر الملك، وقد طلب مني أن آتيه غداً. فلماذا يريدني أن آتي مرةً ثانية».

«ملكنا هو الذي يريدك، ملكنا الراعي».

«ومن هو الملك الراعي؟».

«تعال وستعرف».

عندئذ سأل الملك الراعي البراهماني لماذا يبكي كل يوم وهو يمر بذلك المرج. أخبره البراهماني بقصته المحزنة. وبعد أن سمع الملك الراعي الحكاية، قال: «لقد فهمت قضيتك، وسوف أعيد لك كل حقوقك. فقط، اذهب إلى الملك واطلب منه أن يسمح لي بالحكم في قضيتك».

عاد البراهماني إلى الملك وطلب من جلالته أن يُحيل قضيته إلى الملك الراعي الذي استعد أن يحكم فيها. سمح الملك بذلك بعد أن حيرته هذه القضية طويلاً. نظر الملك الراعي في المسألة كلها، وحدد اليوم التالي للمحاكمة. أحضر الملك الراعي معه قنينة ذات عنق ضيق. ظهر البراهماني والبراهماني الشبح أمام القضبان. وبعد فحص دقيق للشهود، وتقديم الدعوى والإجابة، قال الملك الراعي: «حسن، لقد سمعت ما يكفي، وسأحكم في القضية حالاً. ها هي ذي القنينة. من استطاع منكما أن يدخل فيها فالمحكمة تقرُّ أنه المالك الحقيقي للمنزل وهو عنوان الخلاف كله. فلنر الآن من منكما سيدخل».

قال البراهماني: «إنك ملك راع، وعقلك هو عقل راع. أي إنسان يمكنه أن يدخل في قارورة كهذه؟». قال الملك الراعي: «إن لم تستطع الدخول، فلست المالك الحق. فما ردك على هذا، يا سيد؟». والتفت إلى البراهماني الشبح وخاطبه قائلاً: «إن استطعت أن تدخل القنينة، فالمنزل والزوجة والأم ملك لك أنت». ردَّ الشبح: «بالطبع، سأدخل».

وتصديقاً لما يقوله، وأمام دهشة الجميع، جعل من نفسه مخلوقاً صغيراً مثل حشرة، ثم دخل إلى القنينة. أغلق الملك

الراعي القنينة، وعجز الشبح عن الخروج منها. عندئذ قال الملك الراعي للبراهماني: «ارم هذه القنينة إلى قاع البحر وعد إلى بيتك وزوجتك وأمك».

فعل البراهماني ما أمره الملك، وعاش سعيدا لسنوات عديدة، وخلف البنين والبنات.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

الرجل الذي أراد أن يكون كاملاً

في قديم الزمان، جاء راهب متسول إلى ملك لم يكن له أولاد، وقال له: «ما دمت قلقاً بسبب أن ليس لك ولد، فإني أستطيع أن أعطي الملكة دواءً وستنجب ولدين توأمين؛ لكن بشريطة أن تحتفظ لنفسك بأحد التوأمين وتعطيني الآخر».

رأى الملك أن هذا الشرط عسير، لكنه كان يتحرق شوقاً لأن يخلِّف ولداً يحمل اسمه ويرث ثروته ومملكته، فوافق على شرط الراهب.

تناولت الملكة الدواء، وبعد مدة ولدت ولدين توأمين. بلغ الولدان عاماً، وعامين وثلاثة، وأربعة وخمسة أعوام، ولم يظهر الراهب المتسول ليأخذ نصيبه، فظن الملك والملكة حينها أن الراهب الذي كان عجوزاً لابد قد مات، فأزالا من ذهنيهما كل خوف.

غير أن الراهب لم يكن ميتاً، بل حيّاً يرزق، وكان يعدُّ السنين بحرصٍ شديد. عيِّن للأميرين المربون، وأظهرا تقدماً سريعاً في تعلمهما وفي ركوب الخيل ورمي السهام. ولما كانا جميلين بطريقة استثنائية، فقد أعجب الناس كلهم بهما. وعندما بلغا سن السادسة عشرة، ظهر الراهب عند بوابة القصر، وطالب الملك بتحقيق وعده.

ارتجف قلبا الملك والملكة في صدريهما. لقد اعتقدا أن الراهب مات واختفى عن وجه الأرض، لكن، يا لدهشتهما إذ رأياه حيّاً واقفاً بشحمه ولحمه عند بوابة القصر يطلب واحداً من ابنيهما الأميرين الشابين. استولى على الملك والملكة الكرب الشديد وغمرهما الحزن. لكن، لم يكن أمامهما من سبيل إلا أن يفارقا أحد الأميرين، لأن لعنة الراهب يمكن أن تحيلهما معاً إلى رماد هما والأميران معاً، والقصر والمملكة كلها.

إنما، عن أي الأميرين يتخليان؟ لقد كان كل واحدٍ منهما أعزَّ على قلبيهما من الآخر. نشب في داخلها صراعٌ حاد. أما الأميران، فقد قال كلٌّ واحدٍ منهما: «أنا سأذهب». قال الأصغر للأكبر: «أنت الأكبر، وإن بدقائق معدودات، وأنت فخر أبي وأمي، فابق أنت، وسأذهب أنا مع الراهب المتسول».

وقال الأكبر للأصغر: «أنت أصغر مني، وأنت قرة عين أبي وأمي. فلتبق أنت وسأذهب أنا».

وبعد أخذ ورد طويلين، وبعد طول أسى وبكاء، ذهب الأمير الأكبر مع الراهب. وقبل أن يغادر حضن أبويه، زرع بيديه شجرة في فناء القصر، وقال لأبيه وأمه وأخيه: «هذه الشجرة هي حياتي.

حين تكون خضراء طرية، فاعلموا أن الأمـور تسير على خير حال، وحين ترون أجزاء منها تذوي وتذبل، فاعلموا أنني مريض، وحين تذوي الشجرة كلها، فاعلموا أني قد مت».

ثم قبل وعانق الملك والملكة والأخ، ولحق بالراهب.

وبينما كان الراهب والأمير يسيران في طريقهما نحو الغابة، أبصرا بعض جراء الكلاب على جانب الطريق. قال أحدهما لأمه: «أريد يا أمي، أن أذهب مع هذا الشاب الوسيم الذي لابدّ من أنه أمير». فقالت له الأم: «اذهب».

فأخذ الأمير مسروراً الجرو كرفيق له. وواصلا سيرهما ثم أبصرا بعد فترة غير طويلة أنثى صقر على شجرة بجانب الطريق مع فراخها. قال أحد الفراخ لأمه: «أريد يا أمي، أن أذهب مع

ذلك الشاب الوسيم الذي لابدّ من أنه ابن ملك». فقالت له الأم: «اذهب».

وأخذ الأمير مسروراً الطائر كرفيق له. وهكذا واصل الراهب والأمير والجرو وفرخ الصقر رحلتهم. وأخيراً وصلوا إلى قلب الغابة، بعيداً عن منازل البشر حيث توقفوا أمام كوخ مسقوف بالأوراق. كان هذا الكوخ هو معتزل الراهب. قال هذا الأخير للأمير: «ستعيش هنا في هذا الكوخ معي. عملك الأساسي سيكون انتقاء الأزهار من الغابة لأداء طقوسي. يمكنك أن تذهب في كل اتجاه ما عدا في اتجاه الشمال. فإن أنت ذهبت في هذا الاتجاه، فإن الشر سيصيبك. وتستطيع أن تأكل أي فاكهة أو جذور تحب، أما الماء فيمكنك الحصول عليه من الجدول».

لم يحب الأمير المكان ولا العمل. اعتاد في الفجر أن يذهب لانتقاء الأزهار من الغابة وتقديمها للراهب الذي كان يأخذها ويذهب إلى مكان ما ليقضي اليوم كله ولا يرجع إلا عند الغروب، لذلك كان الأمير يقضي يومه كما يريد. كان يتجول في الغابة مع جروه وصقره الصغير، مطلقاً السهام على الغزلان التي كانت موجودة بكثرة، وهكذا كان يزجي وقته.

وذات يوم، أصاب أيِّلاً بسهمه فجرى الأيل الجريح صوب الشمال، فلم يتذكر الأمير وصية الراهب، ولحق بالأيل الذي دخل منزلاً جميلاً غير بعيد. فتبعه الأمير وبدلاً من أن يجد الأيِّل أبصر فتاة ذات جمال فاتن لا نظير له، تجلس إلى جانب الباب مع طاولة نرد أمامها. تسمَّر الأمير في مكانه وهو ينظر إلى الفتاة ذات الجمال السماوي. قالت: «ادخل أيها الغريب. لقد جاءت بك المصادفة، لكن لا تذهب قبل أن تلعب معي لعبة نرد».

وافق الأمير مسروراً. ولما كانت لعبة حظ، فقد اتفقا عل أنه إن خسر الأمير فإن عليه أن يعطي فرخ الصقر للفتاة، وإن خسرت هي فإن عليها أن تعطي الأمير فرخ صقر مثل ذلك الذي معه. وربحت الفتاة اللعبة، فأخذت صقر الأمير، ووضعته في حفرة مغطاة بلوح خشبي. وعرض الأمير عليها أن يلعبا لعبة أخرى، فوافقت الفتاة على أن تأخذ الفتاة جرو الأمير إن هو خسر، وإن خسرت هي تعطيه جرواً مثل جروه. وربحت الفتاة اللعبة مرة ثانية فأخذت الجرو ووضعته في حفرة ثانية وغطتها بلوح خشبي آخر.

وعرض الأمير أن يلعبا لعبة ثالثة، وكان الرهان أنه إن خسر الأمير اللعبة فإنه يُسلِم نفسه للفتاة تفعل به ما تشاء، وإن هو ربح تعطيه الفتاة شاباً مثله تماماً. وربحت الفتاة اللعبة الثالثة، فأمسكت بالأمير ووضعته في حفرة وغطتها بلوح خشبي.

لم تكن تلك الفتاة الجميلة إنسية على الإطـلاق، بل هي «راكشاساس» تعيش على لحوم البشر، وقد أخذ لعابها يسيل لمنظر جسد الأمير الناعم. لكن في ذلك اليوم كان لديها كفايتها من الطعام، فاحتفظت بالأمير لوجبة اليوم التالي.

في تلك اللحظة بالذات علا البكاء والعويل في قصر الملك. كان أخو الأمير ينظر كل يوم إلى الشجرة التي زرعها أخوه بيديه في فناء القصر فيجد أوراقها خضراء نضرة، وفجأة وجد بعض الأوراق تذوي. أخبر الملك والملكة بالأمر، فاستنتجوا جميعاً أن حياة الأمير الأكبر لابدّ من أن تكون في خطر داهم. عزم الأمير الصغير على الذهاب لمساعدة أخيه، لكنه قبل أن يغادر زرع شجرة في فناء القصر كتلك الشجرة التي زرعها أخوه، وكانت هي المؤشر على حالة حياته.

اختار الأمير أسرع جواد في إصطبلات القصر وامتطاه وراح يسابق الريح إلى الغابة. وفي طريقه أبصر كلبة مع جرو، فظن الجرو أن الراكب هو الأمير الذي أخذ أخاه لأنه كان يشبهه تماماً. قال له الجرو: «ما دمت أخذت أخي فخذني أيضاً معك». فهم الأمير أن أخاه أخذ جرواً معه، فأخذ هذا رفيقاً له. وبعد مسافة غير بعيدة، سمع صقراً صغيراً كان جاثماً في شجرة على جانب الطريق يقول: «لقد أخذت أخي، فخذني معك أيضاً لو سمحت».

فأخذه الأمير أيضاً. ومع هذين الرفيقين دخل إلى قلب الغابة حيث أبصر كوخاً ظنه كوخ الراهب المتسول. لكن، لا الراهب ولا أخوه كانا هناك. لم يدر ماذا يصنع، ولا أين يذهب. ترجّل عن جواده وتركه يرعى، في حين جلس هو في الكوخ. وعند غروب الشمس عاد الراهب إلى كوخه فرأى الأمير الصغير، وقال: «أنا سعيد بمرآك. لقد حذرت أخاك من الذهاب باتجاه الشمال لأن الشر سيصيبه، لكن يبدو أنه عصى أوامري وذهب نحو الشمال ووقع في حبائل الراكشاساس التي تقيم هناك. وما من أمل في إنقاذه. لعلها قد أكلته سلفاً».

اتجه الأمير الصغير صوب الشمال فأبصر أيّلاً وأصابه بسهمه. جرى الأيِّل ودخل المنزل الذي لا يبعد كثيراً، فلحقه الأمير

الصغير. لم يندهش كثيراً حين أبصر بدلاً من الأيل فتاة فائقة الجمال. فاستنتج في الحال مما سمعه من الراهب أن هذه الفتاة المزيفة ليست سوى «الراكشاساس» التي أسرت أخاه.

طلبت منه الفتاة أن يلعب لعبة نرد معها. فاستجاب لطلبها ولعب وفق الشروط ذاتها التي لعب عليها أخوه. ربح الأمير الصغير اللعبة فأعطته الفتاة فرخ الصقر. ابتهج الطائران لرؤية أحدهما الآخر ابتهاجاً عظيماً. ولعبا لعبة ثانية وربحها الأمير فأحضرت له الفتاة الجرو من الحفرة. ثم لعبا لعبة ثالثة فربحها الأمير. اعترضت الفتاة على إحضار الفتى الشبيه به مدَّعية أن من المستحيل الحصول على واحد مثله، لكن الأمير أصر على تنفيذ الشرط، فأطلقت سراح أخيه.

كانت بهجة الأخوين برؤية أحدهما للآخر تفوق الوصف. قالت «الراكشاساس» للأميرين: «لا تقتلاني وسأطلعكما على سر ينقذ حياة الأمير الأكبر».

عندئذ أخبرتهما أن الراهب المتسول هو من عُبَّاد الإلهة «كالي» التي لها معبد غير بعيد من ذلك المكان، وأنه يتبع طائفة هندوسية تبحث عن الكمال عن طريق التواصل مع أرواح البشر الراحلين وأنه قد ضحى سلفاً عند مذبح «كالي» بست أضحيات

بشرية يمكن العثور على جماجمها في كوة بالمعبد وأنه سيصير كاملاً عندما يضحي بالسابعة، وأن الأمير الأكبر كان هو الضحية المقصودة.

بعد ذلك، أخبرت «الراكشاساس» الأمير أن يذهب توّاً إلى المعبد ليتأكد من صحة ما قالته. ذهب الأميران إلى المعبد، وعندما دخل الأمير الأكبر ضحكت الجماجم في الكوة ضحكاً شبحياً. ووسط رعبه سألها الأمير عن سبب الضحك فأخبرته الجماجم أنها كانت مسرورة لأنها كانت على وشك أن تحصل على واحدة إضافية إلى عددها. قالت إحدى الجماجم، وكانت هي المتحدثة باسم الأخريات: «أيها الأمير الشاب، خلال أيام سيكتمل تعبُّد الراهب المتسول، وستحضر أنت إلى هذا المعبد، وسيقطع رأسك، وستكون معنا. لكنّ هناك سبيلاً واحداً يمكنك بواسطته أن تنجو من هذا المصير، وتقدِّم لنا نحن خدمة».

قال الأمير: «أوه، قولي لي ما هو ذلك السبيل، وأنا أعدك أن أفعل كل ما أقدر عليه من أجلك». ردَّت الجمجمة: «عندما يُحضِرك الراهب إلى هذا المعبد ليقدمك أضحية، قبل أن يقطع رأسك، سيطلب منك أن تسجد أمام الأم كالي، وعندما تفعل ذلك سيقطع رأسك. لكن اسمع نصيحتنا، حين يطلب منك

أن تنحني أمام كالي، قل له إنك أمير، وإنك لا تنحني لأحد، وإنك لا تدري ما هو الإنحناء، وإن على الراهب أن يريك ما هو الانحناء.

وعندما ينحني ليريك كيف يكون الانحناء، خذ سيفك واقطع رأسه. وحين تفعل ذلك سنستعيد نحن جميعاً حياتنا لأن نذر الراهب لم يتحقق بعد».

شكر الأمير الأكبر الجماجم على نصيحتها، وعاد إلى الكوخ مع أخيه الأصغر.

وخلال أيام معدودة اكتملت طقوس الراهب، فأخبر الأمير في اليوم التالي أن يذهب معه إلى معبد «كالي» لسبب لم يذكره؛ لكن الأمير عرف أنه يريد أن يقدِّمه قرباناً للإلهة. ذهب الأمير الأصغر أيضاً معه، لكنه لم يسمح له بالدخول إلى المعبد. وقف الراهب أمام «كالي»، وقال للأمير: «انحن للإلهة». أجاب الأمير: «أنا أمير، ولم يسبق لي أن انحنيت لأحد ولست أدري كيف أنحني. أرني أولاً كيف أنحني لو تكرمت، وسوف أفعل بكل سرور».

عندئذٍ، انحنى الراهب أمام الإلهة، وبينما هو يفعل ذلك، فصل الأمير رأسه بضربة واحدة من سيفه. وفي الحال، ضحكت الجماجم في الكوة بصوتٍ عـال، رضيت الإلهة نفسها عن الأمير ومنحته فضيلة الكمال التي كان الراهب يحاول أن ينالها. استعادت الجماجم حياتها وعاد أصحابها رجالاً كما كانوا، وعاد الأميران إلى بلادهما.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «نايتا»؟... إلخ

الزوجة الشبح

عاش أحد البراهمانيين وزوجته وأمه في منزل واحد. كان بجوار منزله بركة على حافتها شجرة، وعلى أحد فروعها كان يقيم أحد الأشباح من نوع «سانكتشيني»[1].

وذات ليلة خرجت زوجة البراهماني إلى البركة، فاحتكَّت بـ «سانكتشيني» كانت واقفة قريباً من البركة، فغضبت الأخيرة غضباً شديداً من المرأة، وأمسكت بخناقها، وصعدت بها إلى الشجرة ودستها في فجوة في جذعها. وهناك بقيت المرأة في حالةٍ قريبة من الموت من شدة الذعر. ارتدت المرأة الشبح ثياب المرأة وذهبت إلى بيت البراهماني .

لم يلحظ البراهماني ولا أمه أدنى تغيير، فقد اعتقد البراهماني أن زوجته عادت من البركة، واعتقدت أمه أن من عاد هو كنّتها. وفي صباح اليوم التالي لاحظت الأم بعض التغيير في كنَّتها.

(1) أشباح نسوية لونها أبيض تقف في قلب الليل تحت الأشجار وتبدو أشبه بقماش ابيض (المؤلف).

كانت الكنَّة ضعيفة البنية واهنة وكان عمل المنزل يتطلَّب منها وقتاً أطول. لكنها صارت الآن إنسانة مختلفة تماماً. فجأة، صارت نشيطة جداً. وصارت تقوم بعمل البيت في وقت قصير جداً.

لم تشك الأم في شيء، ولم تقل شيئاً لابنها ولا لكنَّتها. على العكس من ذلك، سرَّت في سريرتها واعتقدت أن زوجة ابنها قد بدأت صفحةً جديدة. لكن دهشتها تضاعفت يوماً بعد يوم. فطبخ الطعام لم يعد يستغرق الكنة سوى وقت قصير. وعندما كانت الأم تطلب منها أن تأتي بشيء من الحجرة الثانية، كانت تأتي به في وقت أقل بكثير مما يقتضيه الانتقال إلى الغرفة والعودة منها.

كانت المرأة الشبح تمدُّ يداً طويلة إلى الغرفة بدلاً من الذهاب إليها، لأن الأشباح تستطيع إطالة أو تقصير أعضائها أو أجسامها.

وذات يوم أبصرت العجوز زوجة ابنها تفعل ذلك حين طلبت منها أن تأتي بوعاء من مسافة، فمدت المرأة الشبح يدها بدون وعي مسافة عدة ياردات وأحضرت الوعاء في لمح البصر. صُعقت المرأة مما رأته. ولم تقل لها شيئاً، بل تحدثت إلى ابنها. وبدأت الأم وابنها بمراقبة المرأة الشبح عن كثب.

وفي أحد الأيـام، كانت العجوز تعرف أن ليس في البيت حطب، وتعرف أن كنَّتها لم تخرج لإحضاره، ومع ذلك، فها هو ذا التنور في المطبخ مشتعلٌ تماماً. دخلت إلى المطبخ، ولشدة دهشتها رأت أن كنَّتها لم تكن تستخدم حطباً للطبخ، بل كانت قد دست رجلها في التنور الذي كان متقداً.

أخبرت الأم ابنها بما رأته، فاعتقدا معاً أن المرأة الشابة التي في البيت ليست زوجته الحقيقية، بل هي شبح. شهد الابن تلك الأعمال التي كانت تقوم بها والتي شهدتها أمه.

أرسلا في طلب أحد طاردي الأشباح «أوجها»، فجاء، وأراد في البداية دليلاً للتأكد مما إذا كانت المرأة امرأة حقيقية أم شبحاً. ولهذا الغرض أشعل قطعة من عود الكركم وقرّبه من أنف المرأة المزعومة. كان هذا امتحان لا يخطئ، لأن ما من شبح -ذكراً أو أنثى- يستطيع احتمال رائحة عود الكركم المحترق. وفي اللحظة التي قُرِّب من أنفها العود المحترق، صرخت بصوتٍ عال، وهربت من الحجرة، فبات واضحاً الآن أن المرأة إمّا أن تكون شبحاً أو أنها ممسوسةٌ بشبح.

وقبض على المرأة بالقوة، وسئلت عن هويتها! فرفضت في البداية أن تبوح بشيء، ولذلك أخذ طارد الأشباح خُفَّيه وبدأ يصفعها بهما. عندئذٍ قالت المرأة الشبح بنبرة أنفية قوية حادة – لأن الأشباح كلها تتحدث من أنفها– إنها «سانكتشيني» وإنها كانت تقيم في شجرة بجوار البركة، وإنها أمسكت البراهمانية الشابة واحتجزتها في فجوةٍ بجذع الشجرة لأنها احتكّت بها ذات ليلة، وإن أي شخصٍ إذا ما ذهب إلى تلك الفجوة سيجد المرأة.

أُحضرت المرأة من الشجرة وكانت على حافة الموت وضُربت المرأة الشبح ثانية بالأحذية، وتعهدت بعد كل مرة أنها لن تعود ثانية لإيذاء البراهماني وأسرته، فأُطلقت من رقية طارد الأشباح. واستعادت زوجة البراهماني عافيتها ببطء. وعاشوا بعد ذلك معاً سعداء لسنوات عديدة وخلفوا أولاداً وبنات.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة... إلخ

حكاية براهماديتيا[1]

عاش براهماني فقير مع زوجته. ولمّا لم يكن لديه من وسيلة يكسب بها عيشه، فقد اعتاد أن يتسول من باب لباب فيحصل على بعض الأرز، ثم يغليانه ويأكلانه مع بعض الأوراق الخضراء التي كانا يلتقطانها من الحقول. وحدث بعد فترة أن حصل تغيير في القرية إذ تغيَّر مالكها، ففكر البراهماني بأن يطلب من مالكها الجديد عطيةً ما.

وهكذا، ذهب في صباح أحد الأيام إلى منزل المالك ليتودّد إليه ويقدِّم له احترامه. وحدث أن نبيل القرية حينها كان يسأل خدمه عن القرية وعن أطرافها المختلفة. فقيل له إن شجرة «بانيان» بعينها في طرف القرية كانت مسكونة بعدد من الأشباح؛ وما من إنسان لديه الشجاعة لأن يذهب إلى تلك الشجرة في الليل.

وقيل له أيضاً إن بعض الأشخاص في الماضي ذهبوا إلى تلك الشجرة في الليل، لكن رقابهم كلهم قُطِعت وماتوا جميعاً. ومنذ

(1) شبح براهماني يموت وهو غير متزوج (المؤلف).

ذلك الحين لم يجرؤ أحد على الذهاب إلى الشجرة ليلاً على الرغم من أن الرعاة أثناء النهار يذهبون مع أبقارهم إلى تلك البقعة.

حين سمع المالك الجديد بهذا، قال إذا ذهب أحد إلى تلك الشجرة في الليل وقطع أحد فروعها وجاء به إليه، فإنه سيقدم له هدية مئة بيغا[1] من دون أن يدفع ايجاراً. لم يقبل أحدٌ من خدمه هذا التحدي لأنهم كانوا متأكدين أنهم سيُخنقون على أيدي أشباحها.

فكر البراهماني الذي كان جالساً هناك في سرّه، قائلاً: «عما قريب سأتضور جوعاً وأوشِك على الموت، ولم يحدث أن ملأت بطني يوماً. إن أنا ذهبت إلى الشجرة ليلاً، وأفلحت في قطع فرع منها، فسأحصل على مئة بيغا من الأرض حرة من الإيجار، فأستقل بحياتي كلها وأتحرر من التسول. أما إن قتلتني الأشباح، فإن ذلك لن يكون أسوأ حالاً، لأن الموت جوعاً ليس أفضل من الموت خنقاً بواسطة الأشباح». حينئذ أعلن أنه سيذهب في الليل إلى الشجرة ويأتي بالفرع. كرر سيد القرية وعده وقال إن ذهب البراهماني في الليل إلى الشجرة وعاد بفرع منها فإنه سيمنحه مئة «بيغا» من الأرض معفية من الايجار.

---

(1) البيغا الواحد يساوي ثلث الأكر، والأكر الواحد يساوي أربعة آلاف متر مربع من الأرض (المؤلف).

ولما سمع الناس في القرية بوعد السيد وعرض البراهماني، أشفقوا جميعاً على المسكين، وأخذوا يلومونه على سذاجته، إذ كانوا واثقين من أن الأشباح ستقتله كما قتلت كثيرين غيره من قبل. وحاولت زوجته أن تثنيه عن قراره المتهور، فلم تفلح. وقال إنه ميت في كل الأحوال، لكن ربما كان لديه فرصة للنجاة إذا ما ذهب إلى الشجرة، وقد يستطيع التحرر من حياة التسول.

وبعد ساعة من غروب الشمس، خرج البراهماني متجهاً صوب الشجرة. مضى إلى طرف القرية دون خوف أو وجل حتى بلغ شجرة «فاكولا» (شجرة سنط) لا تبعد من الشجرة المسكونة إلا مسافة حبل واحد، فخذله قلبُه وبدأ يرتعد من الخوف. وأخذ صدره يعلو ويهبط في حركة تشبه حركة آلة فصل الأرز عن قشوره. كانت شجرة السنط هي مأوى أحد «البراهماديتيا» والذي ما إن رأى البراهماني يقف تحت الشجرة حتى قال له: «هل أنت خائف، أيها البراهماني؟ قل لي ما الذي تريد فعله وسوف أساعدك. أنا براهماديتيا».

أجاب البراهماني: «أيتها الروح المباركة، إني أودُّ أن أذهب إلى شجرة البانيان تلك وأقطع أحد فروعها لسيِّد القرية الذي وعد بمنحي مئة بيغا من الأرض المعفية من الإيجار مقابل ذلك الفرع. لكن

شجاعتي تخذلني. وسأكون شاكراً لك جداً لو أنك ساعدتني».

أجابه «البراهماديتيا»: «بالتأكيد، سوف أساعدك، أيها البراهماني. اذهب إلى الشجرة، وسآتي معك».

معتمداً على قوة حارسه الخارقة، الذي هو محور الخوف والتبجيل لدى الأشباح العادية، مضى البراهماني دون خوف نحو الشجرة المسكونة، وعندما وصل إليها، بدأ يقطع أحد فروعها بالمنجل الذي أحضره معه. لكنه ما إن ضرب ضربةً واحدة حتى اندفع حشدٌ كبير من الأشباح نحوه وكانت تريد تمزيقه إرباً لولا تدخل «البراهماديتيا» الذي قال بنبرة آمرة: «اسمعي أيتها الأشباح. إن هذا براهماني مسكين. وهو يود أن يحصل على فرع من هذه الشجرة سيكون ذا نفع كبير له. وأنا أرغب أن تتركيه يقطع ذلك الفرع».

سمعت الأشباح صوت «البراهماديتيا» وأجابت: «فلتكن مشيئتك، يا سيدنا. وامتثالاً لإرادتك فإنا مستعدون لفعل أي شيء من أجله. لا داعي لأن يُتعب البراهماني نفسه في القطع. نحن الذين سنقطع الفرع بدلاً عنه».

قالت الأشباح ذلك، وفي رمشة عينٍ وضعت فرع الشجرة في

يديه، وعاد به بأقصى سرعة إلى منزل سيد القرية. دهش سيد القرية ورجاله إلى أبعد حدّ حين رأوا الفرع، لكن السيد قال: «حسن، لكن لابدّ من أن أرى غداً إن كان الفرع هو من الشجرة المسكونة أم لا. إن كان كذلك، فستحصل على المكافأة الموعودة».

وفي صباح اليوم التالي ذهب سيد القرية بنفسه مع خدمه إلى الشجرة المسكونة، ووجدوا لشدة دهشتهم أن الفرع الذي في أيديهم هو حقاً فرع من تلك الشجرة حين وجدوا الجزء الذي قطع منه. اقتنع سيد القرية وأمر فعلاً بإعطاء البراهماني مئة «بيغا» من الأرض المعفية من الإيجار. وهكذا صار البراهماني في ليلة واحدة رجلاً ثريّاً.

وحدث أن الحقول التي صار البراهماني مالكها كانت مزروعة بالأرز الذي حان حصاده. لكن البراهماني لم يكن يمتلك الوسيلة لحصد الرز الذهبي، إذ لم يكن يملك بيسة واحدة في جيبه لدفع أجور الحصادين. فماذا كان عليه أن يفعل؟ ذهب إلى صديقه الشبح «البراهماديتيا» وقال له: «أوه، أيها البراهماديتيا، إني في مأزق. بفضلك وعطفك نلت الأرض المعفية من الايجار والمغطاة بالرز الناضج. لكنني لا أملك أية وسيلة لحصد الرز لأني رجل فقير. فماذا عساني أفعل؟».

أجابه «البراهماديتيا» الطيب: «أيها البراهماني، لا تشغل بالك بهذا الأمر. لسوف أتأكد من أن الأرز لا يحصد فحسب، بل أن تدرس السنابل أيضاً، وتخزن في الأهراء، ويكوّم التبن في أكداس. فقط، عليك أن تفعل شيئاً واحداً. استعر من أهل القرية مئة منجل وضعها تحت هذه الشجرة في المساء. ثم جهِّز المكان المناسب الذي سيوضع فيه محصول الأرز، وحِزَم التبن».

كانت فرحة البراهماني بلا حدود. استعار ببساطة مئة منجل لأن القرويين يعرفون أنه صار ثريّاً، فأعاروه ما أراد. وعند غروب الشمس أخذ المناجل ووضعها تحت شجرة السنط. كما اختار بقعة من الأرض قريباً من منزله كمستودع لأرزه ومكانٍ لحزم التبن، ونظف البقعة بمحلول روث البقر والماء. وبعد أن أكمل هذه الاستعدادات ذهب لينام.

في هذه الأثناء، وبعد منتصف الليل تماماً بعدما أوى كل أهالي القرية إلى منازلهم، استدعى «البراهماديتيا» الأشباح المئة من الشجرة المسكونة وقال لها: «عليك الليلة أن تقومي ببعض العمل لذلك البراهماني المسكين، صديقي. المئة بيغا من الأرض التي حصل عليها من سيد القرية مغطاةٌ كلها بالأرز الناضج. وليس لديه القدرة على حصاده. عليك هذه الليلة أن

تقومي بالعمل. ها هي ذي -كما ترين- مئة منجل، فليأخذ كلٌّ واحد منجلاً ويذهب إلى الحقل الذي سأريه. أنتم مئة. فليحصد كل واحد بيغا واحدة. وليحمل على ظهره الحصاد إلى منزل البراهماني، ويدرس السنابل ويضع المحصول في مستودع كبير، ثم يحزم التبن في حزمٍ منفصلة. والآن، لا تضيعي الوقت. لابدّ من أن تنجزي العمل كلّه هذه الليلة».

قالت الأشباح المئة للبراهماديتيا: «سنفعل ما تأمرنا به جلالتك، في الحال».

أراها «البراهماديتيا» منزل البراهماني، والبقعة المعدة لخزن الحبوب، والمكان المخصص لأكوام التبن، ثم أخذها إلى حقول البراهماني التي كانت تتماوج كلها بالسنابل الذهبية. هجمت الأشباح عليها على الفور. الحاصد الواحد من الأشباح يختلف عن الحاصد من البشر. فما يحصده حاصد البشر في يوم يحصده الشبح في دقيقة واحدة.

«ماش، ماش، ماش» أخذت المناجل تدور في الحقول، فتساقطت السيقان الطويلة على الأرض، وما إن اكتمل الحصاد، حتى حملت الأشباح الحزم على ظهورها الهائلة إلى منزل البراهمُاني. ثم فصلت سنابل الحبوب عن السيقان ودرست

وخزنت الحبوب في مخزن كبير، وكومت حزم التبن ورصت بصورةٍ بديعة.

وقبل طلوع الشمس بساعتين، كانت الأشباح قد أنجزت العمل كله وأوت إلى الشجرة لتستريح. ما من كلامٍ يمكن أن يقال لوصف بهجة البراهماني وزوجته وهما يفتحان باب منزلهما في الصباح الباكر، أو لوصف دهشة أهل القرية وهم يرون المخزن الضخم وحزم التبن المكومة. لم يفهم القرويون شيئاً، بل عزوا كل شيء في الحال إلى الآلهة.

بعد أيام قليلة من هذا، ذهب البراهماني إلى شجرة السنط، وقال لـ «البراهماديتيا»: «أيها البراهماديتيا، بقي لدي طلب واحد. لقد كانت الآلهة جدَّ كريمة معي، ولابد لي من أن أطعم ألف براهماني، وسأكون في غاية الامتنان لك إن أنت زودتني بعدة الوليمة». ردَّ «البراهماديتيا» المؤدب: «بكل سرور، سأمدُّك بكل متطلبات الوليمة للألف براهماني. أرني فقط الأقبية التي تريد أن تضع فيها المؤن».

أعدَّ البراهماني حجرة مرتجلةً لهذا الغرض. وقبل يوم الوليمة، كانت هذه الحجرة مكتظة بالمؤن والأطباق وعدة الطبخ... الخ. مئة جرة من السمن، وتلٌّ من الطحين، ومئة برطمان من السكر،

ومثلها من الحليب وخثارة اللبن والحليب المجمد، وألف شيء وشيء مما تتطلبه الوليمة البراهمانية العظيمة.

وفي صباح اليوم التالي وظّف مئة طباخ براهماني. وأكل ألف براهماني حتى شبعوا، أما المضيف، براهماني قصتنا، فلم يأكل. لقد فكر أنه سيأكل مع «البراهماديتيا». لكن «البراهماديتيا» الذي كان حاضراً هناك من دون أن يُرى، أخبر البراهماني أنه لا يستطيع أن يُشبعه في تلك البقعة، لأن فترة دعم البراهماني ونصرته من قبل «البراهماديتيا» قد أوشكت على النهاية، ولأن عربة «بوشباكا» (إله الثروات عند الهندوس) قد أرسلت إليه من السماء.

فـ«البراهماديتيا» وقد حُرِّر من حياته الشبحية، رُفِعَ إلى السماء، وعاش البراهماني بسعادة لسنواتٍ عديدة، مخلفاً أبناءَ وبنات وأحفاداً وحفيدات.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

حكاية «هيرمان»[1]

عاش صيّاد طيور مع زوجته. قالت له زوجته ذات يوم: «يا عزيزي، سأخبرك عن السبب في كوننا دائماً عرضة للحاجة. إن ذلك يرجع إلى كونك تبيع كل طير تمسكه، في حين لو أننا نأكل بين الحين والآخر بعض الطيور التي تصطادها، فإننا بالتأكيد سنحصل على حظ أفضل. ولذلك أرى أن الطير أو الطيور التي ستصطادها اليوم يجب ألا تباع، بل أن نأكلها».

وافق الصياد على اقتراح زوجته وخرج للصيد. مضى من غابة إلى غابة مع صنارته المصبوغة بالمادة الدبقة وكانت زوجته برفقته. لم يفلح في صيد شيء. لسبب أو لآخر لم يفلح في صيد أي طير حتى حان وقت غروب الشمس. وبينما هما عائدان، أمسكا طائر «هيرمان» جميلاً. أخذت زوجة الصياد الطائر في يدها وراحت تتحسسه من قمة رأسه إلى طرف ذيله. قالت: «أي طائر صغير هذا! كم يمكن أن يكون فيه من لحم؟ لا فائدة

(1) اسم نوع جميل من الببغاوات موطنه جزيرة «مولموكا» (المؤلف).

من ذبحه». قال «الهيرمان»: «لا تذبحيني، يا أماه، بل خذيني إلى الملك وستحصلين على مبلغ كبير من المال مقابل بيعي».

ذُهِل الصياد وزوجته إلى أبعد حد عند سماعهما الطير يتحدث، فسألاه عن السعر الذي عليهما أن يطلباه. أجاب الطائر: «اتركا ذلك عليَّ. خذاني إلى الملك، واعرضاني للبيع، وعندما يسأل الملك عن السعر، قولا: الطير سيحدد السعر بنفسه، وعندئذ سأذكر مبلغاً كبيراً».

ذهب الصياد في اليوم التالي إلى قصر الملك، وعرض الطائر للبيع. سر الملك من جمال الطائر، وسأل الصياد عن سعره، قال الصياد: «أيها الملك العظيم، الطائر سيحدد السعر بنفسه». قال الملك: «ماذا؟ هل يستطيع الطائر الحديث؟».

«نعم، يا مولاي! اسأل الطائر عن سعره، لو تكرمت».

سأل الملك وهو لا يكاد يصدق: «حسناً، يا هيرمان، كم سعرك؟».

أجاب «الهيرمان»: «لو تفضلت، جلالتك، سعري عشرة آلاف روبية. لا تظن أن المبلغ كبير. عدّ النقود للصياد، لأنني سأكون ذا خدمة عظيمة لك، يا مولاي».

«أي خدمة يمكنك أن تقدمها لي يا هيرمان؟».

«سترى جلالتك ذلك في الوقت المطلوب».

دهش الملك أشد الدهشة لسماع حديث الطائر المدهش العجيب، أخذ الطائر، وأمر أمين الخزينة أن يدفع مبلغ عشرة ألف روبية للصياد.

كان للملك ست ملكات، لكنه انشدَّ إلى أبعد حد إلى الطائر لدرجة أنه كاد ينسى أن زوجاته على قيد الحياة. فبات يقضي أيامه ولياليه إلى جانب الطائر، لا بصحبة الملكات. لم يكن الطائر يجيب عن الأسئلة بذكاء شديد فحسب، بل إنه عدَّد أسماء هياكل آلهة الهندوس الثلاثمئة والثلاثين مليوناً، الأمر الذي يعتبر سماعه وحده عملاً من أعمال التقوى.

شعرت الملكات بأنهن أهملن من قِبَل الملك، واستبدّت بهن الغيرة من الطائر، وعزمن على قتله. استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يجدن الفرصة لأن الطائر كان رفيق الملك الدائم.

خرج الملك ذات يوم للصيد، وكان المقرر أن يبقى يومين بعيداً عن القصر. قررت الملكات أن ينتهزن الفرصة ويضعن حداً لحياة الطائر. قلن لبعضهن بعضاً: «هيا نذهب ونسأل الطائر من

هي أقبح واحدةٍ منا في نظره، وأياً كانت من يذكر اسمها عليها أن تخنق الطائر».

وهكذا، ذهبن كلهن إلى الحجرة حيث الطائر؛ لكنهن قبل أن يطرحن أي سؤال، ردَّد الطائر بكل عذوبة وبكل خشوع أسماء الآلهة والإلهات، فذابت قلوبهن كلهن بالرقة والعطف، وخرجن من دون أن ينفذن خطتهن. وفي اليوم التالي، عاودتهن النية السيئة ودعون أنفسهن بالغبيات الحمقاوات إذ تحاشين تنفيذ غايتهن. ولذلك، قررن أن يقسين قلوبهن وأن يقتلن الطائر دون تأخير. ذهبن كلهن إلى الحجرة، وقلن للطائر: «يا هيرمان، إنك طائر حكيم، ونحن نسمع أن أحكامك كلها صائبة؛ فهلاَّ أخبرتنا أينا الأجمل وأينا الأقبح؟».

قال الطائر وقد أحس نية الملكات الشريرة: «وأنّى لي أن أجيب على سؤالكن وأنا في هذا القفص؟ كي أصدر حكماً صائباً لابدَّ لي من أن أنظر بدقة لكل جزء منكن من الأمام ومن الخلف. إن كنت تردن فعلاً أن تعرفن رأيي، فلابدّ من أن تطلقنني من الأسر».

خشيت الملكات في البداية أن يحرِّرن الطائر خوفاً من أن يطيْرَ بعيداً؛ ثم أعدن النظر، وأطلقنه بعد أن أغلقن نوافذ

الحجرة وأبوابها. فحص الطائر الغرفة فوجد أن فيها ممراً للماء يمكن الهرب من خلاله. وحين أعيد السؤال عدة مرات من قِبَل الملكات، قال الطائر: «إن جمال أي واحدة منكن لا يقارن بجمال أصغر إصبع قدم للسيدة التي تعيش وراء المحيطات السبعة والأنهار الثلاثة عشر».

لما سمعت الملكات الحديث عن جمالهن بهذه الطريقة الاستخفافية، صرن أكثر شراسة واندفعن نحو العصفور ليمزقنه إرباً لكنهن قبل أن يظفرن به، فرَّ من ممر الماء، وأوى إلى كوخ حطاب غير بعيد من القصر.

عاد الملك في اليوم التالي من رحلة الصيد، فلم يجد «الهيرمان»، فغشيه الحزن والأسى. سأل الملكات، فأخبرنه أنهن لا يعرفن شيئاً عنه. بكى الملك ليل نهار لأنه كان شديد الحب للطائر. وخاف عليه وزراؤه أن يفقد عقله، لأنه كان يبكي على مدار الساعة، قائلاً: «أوه، يا هيرماني! أوه، يا هيرماني! أين أنت؟».

وأعلن في المملكة كلها باستخدام الطبل أن من يستطيع العثور على الطائر وإحضاره إلى الملك، فإنه سيُمنح عشرة آلاف روبية. سرَّ الحطاب من فكرة أن يصير مستقلاً مكتفياً في حياته، فذهب بالطائر ونال العشرة آلاف روبية.

وحين سمع الملك من الببغاء أن الملكات حاولن قتله، ثارت ثائرته. وأمر بأن يطردن من القصر ويوضعن في مكان مهجور من دون طعام. نُفِّذ أمر الملك، ثم أُشيع بعد أيام قليلة أن الملكات التعيسات قد التهمتهن الحيوانات المفترسة.

وبعد وقتٍ غير طويل، قال الملك للببغاء: «يا هيرمان لقد قلتَ للملكات إن جمال أي واحدة منهن لا يساوي حتى جمال أصغر إصبع للسيدة التي تعيش وراء البحار السبعة والأنهار الثلاثة عشر. هل تعرف سبيلاً يمكنني أن أصل به إلى تلك السيدة؟».

قال «الهيرمان»: «بالطبع، أعرف. أستطيع أن أوصل جلالتك إلى باب القصر الذي تقيم فيه تلك السيدة ذات الجمال الذي لا نظير له، وإن جلالتك عملت بنصيحتي، فأنا أتعهد أن أضع تلك السيدة بين ذراعيك».

قال الملك: «سأفعل كل ما تأمرني به. ما الذي تريد مني أن أفعله؟».

«المطلوب هو باكشيراج[1]. لو استطعت الحصول على حصان من تلك الفصيلة، فيمكنك أن تركب عليه، وفي لمح البصر نستطيع أن نجتاز الأنهار والمحيطات، ونقف بباب قصر السيدة».

(1) حصان طائر أو حرفياً «ملك الطيور» (م).

«لديَّ -كما تعرف- مجموعة كبيرة من أفراس الاستيلاد، فلنذهب ونر إن كان بينها أي باكشيراج».

ذهب الملك و«الهيرمان» إلى الإصطبلات الملكية وفحصا كل الجياد. مر «الهيرمان» على كل الجياد الجميلة وعلى تلك التي تتمتع بالحماس والجَلَد العاليين، ثم حط على مهر ضعيف زري الهيئة وقال: «هذا هو الحصان المطلوب. إنه حصان من نسل الباكشيراج الأصيل، لكن لابدّ من أن يُغذى جيداً لمدة ستة أشهر بأجود أنواع الحبوب قبل أن يستطيع خدمة غرضنا».

وضع الملك ذلك المهر في إصطبل مستقل، وأشرف هو كل يوم على إطعامه بأجود أنواع الحبوب التي يمكن الحصول عليها في المملكة كلها. تحسَّنت صحة المهر بسرعة، وفي نهاية الأشهر الستة أعلن «الهيرمان» بأنه صار مناسباً للقيام بالمهمة. أخبر الملك أن يأمر حدَّاد الفضة أن يصنع وعاء كبيراً من بذور الفضة، الشبيه بالأرز غير المقشور. فأعد ذلك بكمية كبيرة من الفضة في وقت قصير. ولما حان موعد الانطلاق في رحلتهما الجوية، قال «الهيرمان» للملك: «لم يعد لي من طلب. لو سمحت، سُطْ الحصان مرةً واحدة فقط عند البدء. إن أنت سُطْته أكثر من مرة، فلن نكون قادرين على بلوغ القصر، بل

سنعلق في الوسط. وحين نعود صوب الوطن بعد أسر السيدة، عليك أيضاً أن تسوطه مرة واحدة؛ وإن أنت سطته أكثر من مرة، فإننا سنصل إلى منتصف الطريق ونبقى هناك».

امتطى الملك الحصان «الباكشيراج» مع «الهيرمان» والحبيبات الفضية، وبرفق ساط الحصان مرةً واحدة. فانطلق الحصان في الفضاء بسرعة البرق، ومرَّ فوق بلدان وممالك، وإمبراطوريات كثيرة وعبَرَ الأنهار الثلاثة عشر والمحيطات السبعة، وحط في المساء عند بوابة قصر جميل.

انتصبت عند باب القصر شجرةٌ باسقة. أخبر «الهيرمان» الملك أن يُدخل الحصان في إصطبل مجاور، ثم يتسلق الشجرة ويختفي فيها. أخذ الطائر الوعاء الفضي، وبمنقاره راح يسقط الحبيبات الفضية واحدة فواحدة أسفل الشجرة، وفي الممرات والردهات والسلالم حتى باب غرفة السيدة ذات الجمال الذي لا نظير له.

بعد أن فعل هذا، جثم الطائر في الشجرة حيث يختفي الملك. وبعد ساعة أو ساعتين من منتصف الليل، فتحت الباب خادمةِ السيدة، التي تنام معها في الحجرة ذاتها، وأرادت الخروج، فلاحظت البذور الفضية منثورة هناك. أخذت قليلاً

منها، ومن دون أن تعرف ما هي، ناولت السيدة لترى ما هي. أعجبت السيدة بتلك الحبيبات الصغيرة، وتعجبت من وصولها إلى هناك، ثم خرجت من حجرتها وبدأت بالتقاطها. أبصرت جدولاً منتظماً منها بدءاً من باب الغرفة متواصلاً إلى حيث لا تدري، وواصلت التقاط الحبيبات البراقة ووضعها في السلة. مرت بالردهات والممرات والسلالم حتى وصلت إلى أسفل الشجرة. وما إن وصلت السيدة ذات الجمال الخارق إلى ذلك المكان، حتى نزل الملك من الشجرة حسب التعليمات التي أعطاها له الطائر، وأمسك بها. وفي لحظة وضعها معه على ظهر الحصان. وحط الطائر في اللحظة ذاتها على كتف الملك.

وبرفق ساط الملك الحصان مرةً واحدة، فحلقوا جميعاً في الفضاء بسرعة البرق. ود الملك أن يصل إلى وطنه مع غنيمته الغالية في الحال، فنسي تعليمات الطائر، وساط الحصان مرةً ثانية، فهبط على طرف غابة كثيفة. صاح الطائر: «ما الذي فعلته، أيها الملك؟ ألم أقل لك ألا تسوط الحصان أكثر من مرة؟ لقد سطته مرتين. وها نحن قد هبطنا، وقد نواجه هنا حتفنا المحتوم».

غير أن ما حدث حدث. صار الحصان بلا قوة، وما عاد باستطاعة المجموعة أن تواصل سيرها إلى موطنها. هبطوا ولم يعثروا على بشر. أكلوا بعض الجذور والفاكهة، وناموا على الأرض.

وفي صباح اليوم التالي حدث أن جاء بالمصادفة ملك البلاد إلى الغابة لغرض الصيد. وبينما يطارد ظبياً أصابه بسهمه، صادف الملك والسيدة الجميلة. ذهل من جمالها، ووَدَّ أن يحوزها. صفَّر، فأقبل رجاله في الحال وتحلقوا حوله. أسرت السيدة وحبيبها الذي جاء بها من منزلها على الجانب الآخر من المحيطات السبعة والأنهار الثلاثة عشر. لم يقتل الملك، ولكن عينيه نُزعتا، وتُرك في الغابة، لكنه لم يكن وحيداً لأن «الهيرمان» الرائع كان معه.

أُخذت السيدة ذات الجمال الذي لا نظير له إلى قصر الملك وكذلك مهر محبها. قالت السيدة للملك إن عليه ألا يقتربها لستة أشهر بسبب نذر نذرته. ذكرت تلك المدة لأنها هي المدة اللازمة لإعداد «الباكشيراج» وتغذيته. وقالت السيدة بأنها مشغولة كل يوم بالطقوس الدينية تبعاً لنذرها، فخصص لها منزل خاص حيث أخذت «الباكشيراج» وراحت تغذيه بأفضلُ أنواع الحبوب المنتقاة. غير أن كل شيء لن يكون له

جدوى ما لم تقابل «الهيرمان». لكن أنىّ لها أن تبصره؟ ثم دبّرت الحيلة التالية:

أمرت خادمتها أن تنثر على سطح منزلها كل أصناف الحبوب والأرز والبذور طعاماً للعصافير. فتوافدت آلاف الطيور من كل صنف إلى السطح كي تنال من تلك الحبوب الوفيرة. وكانت السيدة تراقب كل يوم لعلها ترى «الهيرمان». كان الطائر حينها في أسى وحزن عظيمين في الغابة. وكان عليه أن يعتني ليس بنفسه فحسب، بل أيضاً بالملك الذي صار الآن أعمى. كان يقطف بعض الثمار الناضجة من الغابة ثم يحضرها للملك ليأكلها، ويأكل منها هو نفسه. وتلك كانت حياة الطائر.

تحدثت الطيور الأخرى في الغابة مع الببغاء هكذا: «أيها الهيرمان، إنك تعيش حياة بائسة في هذا الغابة. لماذا لا تأتي معنا إلى وليمة دسمة تقدّمها لنا سيدةٌ تقية على سطح منزلها؟ إننا نذهب في الصباح الباكر ونعود في المساء ممتلئي البطون نحن وآلاف الطيور الأخرى».

عزم «الهيرمان» على الذهاب مع الطيور صباح اليوم التالي يخالجه الشك أكثر في صدقة السيدة للطيور أكثر مما تعتقده

الطيور بهذا الشأن. أبصر الطائر السيدة، وتحدث معها طويلاً عن صحة الملك الأعمى، وعن السبيل إلى شفاء عينيه، وعن هربها. ثم دبرت خطة على النحو التالي:

سيكون المهر مهيأً للتحليق خلال فترة قصيرة، لأن جزءاً كبيراً من فترة الأشهر الستة كان قد انقضى. وسيستعيد الملك عينيه إن استطاع الطائر أن يحصل على روث من فرخي الطيرين المقدسين «بيهانجاما» و«بيهانجامي» اللذين بنيا عشهما في الشجرة التي ببوابة قصر السيدة الذي خلف الأنهار الثلاثة عشر والمحيطات السبعة. وبعد دهن عيني الملك بقليل من روث الطيرين الطري والحار، سيستعيد الملك بصره.

وفي اليوم التالي ارتحل الطائر في رحلته النبيلة. بقي في الليل على الشجرة التي أمام باب قصر السيدة وراء الأنهار الثلاثة عشر والمحيطات السبعة. وفي صباح اليوم الذي تلاه انتظر تحت العش ومعه ورقة يمسكها بمنقاره فسقط عليها روث الفرخين. طار الببغاء بعد ذلك على الفور عبر الأنهار الثلاثة عشر والمحيطات السبعة، ووصل إلى الغابة، ودهن البلسم الثمين على محجري الملك الأعمى.

وفي بضعة أيام صار «الباكشيراج» في حالته الملائمة. هربت السيدة إلى الغابة، وأخذت الملك معها وكذلك «الهيرمان» وطاروا إلى القصر الملكي آمنين سالمين. اتّحد الملك والسيدة معاً بالزواج. عاشا سنوات طويلة بسعادة، وخلفا البنين والبنات، وكان «الهيرمان» الجميل معهم دائماً يردد أسماء الثلاثمئة والثلاثين مليون إلهاً.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

أصل الياقوت

مات أحد الملوك وخلَّف أربعة أولاد مع الملكة. كانت الملكة شديدة الحب لأصغر الأمراء. كانت تمنحه أفضل الأثواب وأجمل الجياد وأطيب الطعام وأفخم الأثاث. صار الأمراء الثلاثة الآخرون يغارون من أخيهم الأصغر إلى أبعد حد، فتآمروا عليه هو وأمه، فجعلوهما يعيشان في منزل منفصل، واستولوا على جميع ما خلَّفه الملك.

وبسبب التدليل الزائد، صار الأمير الصغير عنيداً. لم يكن يصغي لأحد، حتى لأمه، وكان يصر على رأيه في كل شيء. وفي أحد الأيام ذهب مع أمه للاستحمام في النهر. وجدا قارباً راسياً، ولم يكن فيه أحد. صعد الأمير إلى القارب ودعا أمه لتصعد. ترجَّته أمه أن ينزل من القارب لأنه لم يكن قاربه، لكن الأمير قال: «لا يا أمي، لن أنزل. إنني أود أن أذهب في رحلة بالقارب، فإذا أردت أن تأتي معي، فأسرعي واصعدي في الحال، وإلا فإني سأنطلق فوراً».

ترجت الملكة الأمير ألا يفعل شيئاً كهذا، بل أن ينزل توّاً. بيد أن الأمير لم يُلقِ بالاً لما قالته أمه. صعدت الملكة إلى القارب بسرعة شديدة، وفي اللحظة التي صارت في القارب انطلق كالسهم. وواصل انطلاقه حتى بلغ البحر. وبعد أن قطع عدة أميال في البحر المفتوح، اقترب من دوامةٍ أبصر فيها عدداً كبيراً من قطع الياقوت الضخمة تطفو على المياه. لم يسبق لأحدٍ أن رأى مثل حجارة الياقوت الهائلة التي تساوي الواحدة منها ثروة سبعة ملوك. أمسك الأمير بنصف دزينةٍ منها ووضعها في القارب. قالت أمه: «يا حبيبي، لا تأخذ تلك الكرات الحمراء، لابدّ من أنها ملك أحد ما تعرضت سفينته للغرق، عندئذٍ، يمكن أن يُقبض علينا بتهمة السرقة».

وامتثالاً لتوسلات أمه، قذف بها إلى البحر وأبقى واحدة فقط ربطها في ملابسه. بعدئذٍ انطلق القارب صوب الساحل، ووصل الأمير والملكة إلى ميناء بعينه ونزلا فيه.

لم يكن الميناء الذي نزلا فيه صغيراً، بل كان مدينة كبيرة هي عاصمة ملك عظيم. وغير بعيد من ذلك المكان، استأجر الأمير وأمه كوخاً وأقاما فيه. ولما كان الأمير لا يزال ولداً صغيراً فقد كان مغرماً باللعب بالكريات الزجاجية.

وعندما كان أطفال الملك يخرجون للّعب في مرج أمام القصر، كان أميرنا الصغير ينضم إليهم. لم يكن معه كريات زجاجية أو رخامية، فكان يلعب بالياقوتة التي يملكها.

كانت الياقوت صلبةٌ جداً لدرجة أنها كانت تكسر كلّ كرة اصطدمت بها. اندهشت ابنة الملك، التي اعتادت أن تراقب اللعب من الشرفة، حين رأت كرةً حمراء لامعة في يد ذلك الفتى الغريب، وأرادت أن تحصل عليها. قالت لأبيها إن ثمة ولداً في الشارع يحمل حجراً برّاقاً غير مألوف وهي تود أن تحصل عليه مهما يكن، وإلا فإنها ستجوّع نفسها حتى الموت.

أمر الملك خدمه أن يأتوا إليه بالولد وحجَره الثمينة. وحين جيء به، تعجّب الملك من حجم الياقوتة الكبير ومن شدة تألقها. لم يسبق له هو أن رأى شيئاً مثلها. وشك أن يكون لأي ملك في أي بلاد مثل هذا الكنز العظيم. سأل الصبي من أين حصل عليها. فأجابه أنه حصل عليها في البحر. عرض عليه الملك ألف روبية مقابلها، لم يكن الصبي يعرف قيمتها فقبل المبلغ وأعطاها للملك. وذهب بالنقود إلى أمه، فانتابها الرعب إذ ظنت أن ابنها سرق النقود من منزل شخص ثري. غير أنها هدأت حين أكد لها أن النقود أعطيت له من قِبَل الملك مقابل الكرة الحمراء التي التقطها من البحر.

عندما حصلت ابنة الملك على الياقوتة، ثبتتها في شعرها، ووقفت أمام ببغائها المدلَّل، وقالت له: «يا ببغائي الحبيب، ألا أبدو جميلة جداً بهذه الياقوتة على شعري؟» ردَّ الببغاء: «جميلة! إنك تبدين شنيعةً جداً بها! أي أميرة تضع ياقوتة واحدة فقط على شعرها؟ قد يكون من المعقول لو كنت تضعين اثنتين على الأقل».

شعرت الأميرة بوخز الخجل والعار من التوبيخ الذي وجهه لها ببغاؤها، فذهبت إلى حجرة الحزن في القصر، ولم تأكل أو تشرب. قلق الملك كثيراً حين بلغه أن ابنته قد دخلت حجرة الحزن، فذهب إليها وسألها عن سبب حزنها. فأخبرته الأميرة بما قاله لها ببغاؤها، وأضافت:

«أبي، إن لم تحصل لي على ياقوتةٍ أخرى مثل هذه، فسوف أضع حداً لحياتي بيديَّ هاتين».

استولى الحزن الشديد على الملك. من أين يمكنه الحصول على ياقوتةٍ ثانية مثل هذه؟ وشك أن يكون ثمة ياقوتة أخرى مثلها في العالم أجمع. أمر أن يؤتى إليه بالصبي الذي اشترى منه الياقوتة. ولما جاء، سأله: «هل لديك أيها الفتى ياقوتة أخرى مثل تلك التي بعتها لي؟».

ردَّ الفتى: «لا، ليس لديَّ غيرها. ولماذا تريد واحدة أخرى؟ باستطاعتي أن أعطيك الكثير منها إن أردت ذلك. يمكن العثور عليها في دوامة في البحر، بعيداً. يمكنني الذهاب وجلب بعض منها من أجلك».

تحيَّر الملك من إجابة الفتى، وعرض عليه مكافآت ثمينة مقابل ياقوتة واحدة من النوع ذاته.

عاد الفتى إلى البيت، وقال لأمه إن عليه أن يذهب مرةً ثانية إلى البحر ليأتي ببعض الياقوت للملك. شعرت المرأة بالخوف الشديد من الفكرة، ورجته ألا يذهب. لكن الفتى أصرَّ على الذهاب، وما من شيءٍ يمكن أن يثنيه عن تنفيذ غايته. وذهب وحده على ظهر القارب الذي جاء به هو وأمه، وأبحر فيه. وصل إلى الدوامة التي التقط من قربها سابقاً الياقوت. قرر هذه المرة أن يذهب إلى البقعة المحددة التي منها يخرج الياقوت. مضى إلى مركز الدوامة حيث أبصر فجوةً تصل إلى قاع المحيط.

غاص فيها، تاركاً قاربه يلف ويدور حول الدوامة. وعندما وصل إلى قاع المحيط أبصر قصراً جميلاً. دخل وفي غرفة القصر الرئيسية كان الإله «شيفا» وعيناه مغمضتان وهو منغمس في تأمل عميق. وعلى مسافة بضعة أقدام فوق رأس «شيفا» كان

ثمة منصةٌ استلقت عليها سيدةٌ فائقة الجمال. ذهب الأمير إلى المنصة وأبصر أن رأس السيدة كان منفصلاً عن جسدها. ارتعب من المنظر، ولم يفهم منه شيئاً. ورأى جدولاً صغيراً من الدم يسيل من الرأس المقطوع ويسقط على رأس «شيفا» المغطى، ثم يجري إلى المحيط في صورة حجارة ياقوت.

وبعد قليل، جذبت بصره صنارتان صغيرتان إحداهما فضية والأخرى ذهبية، كانتا موضوعتين قريباً من رأس السيدة. وعندما أخذ الصنارتين في يديه، سقطت الصنارة الذهبية عَرَضاً على الرأس فالتصق الرأس على الفور بالجسد، فنهضت المرأة. دهشت من مرأى إنسان أمامها، فسألت الأمير من هو وكيف وصل إلى هناك. وبعد أن سمعت قصة مغامرات الأمير، قالت: «أيها الفتى التعيس، ارحل على الفور من هذا المكان؛ لأن شيفا حين يفرغ من تأمله، سيحيلك إلى رماد بنظرة واحدةٍ من عينيه».

لكن الفتى لم يكن ليذهب إلا بصحبتها لأنه كان قد وقع في حبها لدرجةٍ لم يعد معها يخشى شيئاً. وأخيراً، دبَّر الإثنان خطةً للهرب من القصر، وصعدا إلى سطح المحيط وتسلقا القارب القريب من مركز الدوامة، ثم أبحرا نحو الأرض بعد أن حمَّلا القارب بحمولةٍ من الياقوت.

كانت دهشة أم الأمير برؤية ابنها مع الفتاة العذراء الجميلة، تفوق الخيال. وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، أرسل الأمير للملك حوضاً مملوءاً بالياقوت مع أحد الخدم. ذهل الملك إلى أبعد الحدود. وعندما حصلت ابنته على الياقوت، قررت أن تتزوج الولد المدهش الذي أهداها الياقوت. وعلى الرغم من أن الأمير باتت له زوجة أتى بها من أعماق المحيط، إلا أنه اقتنع بأن تكون له زوجة ثانية. وعاشوا سعداء لسنوات عديدة، وخلفوا بنين وبنات وأحفاداً وحفيدات.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

٦

ابن آوى الخطّاب

في قديم الزمان عاش أحد النساجين ممن كان أجداده أثرياء جداً، لكن أباه بدّد ثروته التي ورثها في حياة الخلاعة والاستهتار. لقد ولد في منزل يشبه القصر، لكنه الآن يعيش في كوخٍ بائس وليس له أحد في العالم بعد أن توفي والداه وكل أقاربه.

كان بالقرب من كوخه وِجارٌ لابن آوى. تذكر ابن آوى الثروات والأملاك التي كانت لأجداد النساج، وشعر بالتعاطف معه والإشفاق عليه فجاء إليه ذات يوم وقال له: «يا صديقي النساج، إني أرى ما أنت فيه من شقاء العيش. إن لديَّ عقل ذكي يمكن أن يساعدك على تحسين حالك. لسوف أحاول أن أزوجك ابنة ملك البلاد».

أجاب النساج: «أنا أصبح زوج ابنة الملك! هذا لن يحدث إلا عندما تشرق الشمس من الغرب».

قال ابن آوى: «إذن، أنت تشك في قدرتي؟ سوف ترى، وسأنفذ هذا».

وفي صباح اليوم التالي اتجه ابن آوى صوب مدينة الملك التي كانت تبعد عدة أميال. وفي طريقه دخل إلى مزرعة تنبل يملكها الزمّار، وقطف كمية كبيرة من الأوراق. وصل إلى العاصمة وحاول أن يدخل إلى القصر. كان أمام القصر بركة تُمارس فيها نساء الملك استحمامهن الطقوسي صباحاً وعصراً. وعند مدخل تلك البركة، ربض ابن آوى. وحدث أن جاءت ابنة الملك في تلك اللحظة لكي تستحم، وكانت برفقتها خادماتها. ذُعرت ابنة الملك ذعراً شديداً من رؤية ابن آوى، وطلبت من خادماتها أن يُبعدنه عن مربضه.

نهض ابن آوى كأنه كان نائماً، وبدلاً من أن يجري بعيداً، فتح صرة الأوراق ووضع بعضها في فمه وبدأ يلوكها. دهشت الأميرة وخادماتها أيّما إندهاش للمشهد. قلن يحدثن أنفسهن: «أي ابن آوى عجيب هذا! ترى، من أي بلاد جاء؟ ابن آوى يمضغ أوراق التنبل! في حين أن آلاف الرجال والنساء لا يقدرون على مثل هذا الترف. لابدّ من أنه جاء من بلاد غنية».

سألت الأميرة ابن آوى: «سيفالو، من أي بلاد جئت؟ لا بدّ من أنها بلاد غنية حيث يمضغ فيها ابن آوى أوراق التنبل. هل تمضغ الحيوانات الأخرى هذه الأوراق في بلادك؟».

ردّ ابن آوى: «أيتها الأميرة العزيزة، لقد جئت من بلاد تتدفق بالحليب والعسل. ونبات التنبل في بلادي وفير كالعشب في حقولكم. كل الحيوانات في بلادي من أبقار وأغنام وكلاب تمضع هذه الأوراق. ونحن لا نشتهي شيئاً أو ينقصنا شيء».

قالت الأميرة: «سعيدةٌ هي تلك البلاد التي فيها مثل هذه الوفرة، وسعيد أكثر الملك الذي يحكمها!». قال ابن آوى: «إن ملكنا هو أثرى ملك في العالم. قصره أشبه بالجنة لقد رأيت قصركم هنا، إنه كوخ بائس إذا ما قورن بقصر ملكنا».

تضاعفت دهشة الأميرة، وتزايد فضولها إلى أعلى حد، فسارت إلى مغطسها، وعندما ذهبت إلى جناح الملكة الأم، أخبرتها عن ابن آوى العجيب الرابض عند مدخل البركة. أُرسل في طلب ابن آوى للمثول أمام الملكة التي استثير فضولها. ولما وقف أمامها، بدأ يلوك أوراق التنبل بصوتٍ مسموع. قالت الملكة: «لقد جئت من بلاد غنية جداً. هل ملككم متزوج؟».

ردّ: «اطمئني، يا صاحبة الجلالة، ملكنا غير متزوج. لقد حاولت الأميرات من بلادٍ شتى أن يتزوجن به، لكنه رفضهن كلهن. سعيدة هي الأميرة التي سيرضى بها ملكنا زوجة له!». سألته الملكة: «ألا تظن يا سيفالو أن ابنتي جميلة مثل حورية، وأنها تصلح أن تكون زوجة لملككم الأكثر فخراً في العالم؟».

«أعتقد ذلك، إن الأميرة فائقة الجمال حقاً، إنها أجمل أميرة رأيتها في حياتي، لكني لا أدري إن كان ملكنا سيعجب بها». قالت الملكة: «يعجب بابنتي! إن عليك فقط أن تصوّرها له كما هي، وسيجن بالتأكيد حباً لها. إنني جادة، يا سيفالو، أنا أتوق لأن أزوج ابنتي له. كثيرٌ من الأمراء قد طلبوا يدها، لكنني لا أرغب في تزويجها لأحدٍ منهم لأنهم ليسوا أبناء ملوك عظماء. لكن ملككم يبدو ملكاً عظيماً. لن يكون لديَّ اعتراض على أن يصير زوجاً لابنتي».

وأرسلت الملكة تطلب من الملك أن يجيء ويرى ابن آوى. جاء الملك، وأبصر ابن آوى، وسمعه يصف الثروة العظيمة لملك بلاده فأبدى عدم ممانعته في تزويج ابنته له.

بعد كل هذا، رجع ابن آوى إلى النسّاج وقال له: «هاه، يا صاحب النَّول، إنك أوفر الناس حظاً في العالم، دُبِّر كل شيء، ستصير زوجاً لابنة ملك عظيم. لقد أخبرتهم أنك أنت نفسك ملك عظيم وعليك الآن أن تتصرَّف كذلك. افعل ما آمرك به تماماً، وإلا فإن حظك لن يفشل فحسب، بل إنك أنت وأنا أيضاً سنُعدم».

قال النساج: «لسوف أفعل تماماً ما تأمرني به».

رسم ابن آوى الداهية خطة عن السبيل الذي عليه أن يتبعه في تنفيذ ما عزم عليه. ذهب بعد عدة أيام ثانيةً إلى قصر الملك كما ذهب من قبل، أي وهو يمضغ أوراق التنبل ويربض بباب البركة أمام القصر. سرَّ الملك والملكة لرؤيته، وسألاه بشوق عن نجاح مهمته. قال ابن آوى:

«لكي أبدد قلقكما، يمكنني أن أقول إن مهمتي لحد الآن ناجحة تماماً. ولو أنكما أدركتما ما عانيته من متاعب لا حدَّ لها من أجل إقناع جلالته، مولاي الملك، كي يتخذ قراره في الزواج بابنتكما، فلن تدخرا جهداً في شكري. ظل لأمدٍ طويل يرفض الإصغاء إليَّ، لكني بالتدريج أفلحت في استمالته. إن ما عليكما أن تفعلاه هو تحديد اليوم الميمون للاحتفال بالشعيرة المقدسة.

ولديَّ نصيحة صغيرة لكما بوصفي صديقاً لكما. وهي كما يلي: إن مولاي ملكٌ عظيم، لدرجة أنه إن جاء إليكما في صورة رسمية، وجاءت معه حاشيته فإنه سيكون من المستحيل عليكما أن تأويا خيوله وفيلته في قصركما أو في مدينتكما. ولذلك، فأنا أرى أن الملك يجب أن يأتي إلى المدينة بصورة سرية لا رسمية، وعليكما أنتما أن ترسلا خيولكما وفيلتكما ووسائل النقل إلى طرف العاصمة لاحضاره هو وقليل من أفراد حاشيته إلى قصركما».

«شكراً كثيراً لك يا سيفالو الحكيم على هذه النصيحة. نعم سيكون من العسير عليَّ أن أؤوي في عاصمتي أتباع ملك عظيم كملككم. وسأكون سعيداً جداً إن هو لم يأت بصورة رسمية. وأنا واثق أنك ستستخدم براعتك في التأثير عليه وإقناعه بالمجيء بطريقة سرية، لأنني لا شك سأنهار لو هو جاء بطريقة رسمية».

عندئذ قال ابن آوى بصوت رزين جاد: «سأفعل ما بوسعي بهذا الشأن».

وعاد إلى قريته، بعد أن حدَّد المنجِّم اليوم الميمون للزواج.

وفي طريق عودته أخذ يفكر في الاستعدادات للمناسبة العظيمة. ولما كان النسّاج يرتدي الأسمال المهلهلة، طلب منه أن يذهب إلى أصحاب المغاسل في القرية، ويستعير منهم ملابس مناسبة. أما هو فقد ذهب إلى ملك أبناء آوى، وأخبره أنه في يوم بعينه سيحتاج إلى ألفٍ من أبناء جلدته ليرافقوه إلى مكان ما. وذهب إلى ملك الغربان ورجا جلالته أن يوافق على السماح لألفٍ من مواطنيه السود أن يرافقوه إلى مكان ما في يوم ما. وتقدم بالالتماس ذاته لملك طيور مالك الحزين.

وأخيراً، حلَّ اليوم العظيم. لبس النسّاج الملابس التي استعارها من أصحاب مغاسل القرية. وظهر ابن آوى مصحوباً بموكب مكون من ألف من بني جلدته وألفٍ من الغربان وألفٍ من طيور مالك الحزين. وبدأ الموكب رحلته، وعند غروب الشمس بات على بعد ميلين من قصر الملك. وهناك أخبر ابن آوى أصدقاءه الألف أن يطلقوا عواءً صاخباً، وأمر الغربان الألف أن تُصدِر نعيباً صاخباً، كما أن الزعيق الأجش لألفٍ من طيور مالك الحزين صنع الجوقة المناسبة. يمكن تصور تأثير هذا الصخب. لقد صنع الجميع ضجةً لم يسمع العالم لها شبيها من بدء الخليقة. وبينما كانت تلك الضجة اللا أرضية تحدث، أسرع ابن آوى إلى القصر، وسأل الملك إن كان

يعتقد أنه يقدر على إيواء حشد العرس الذي يبعد عن القصر ميلين فقط، والذي يسمع صخبه الآن بأذنيه. قال الملك: «مستحيل، يا سيفالو». من صخب أصوات الحشود يمكنني أن أستنتج أن ثمة مئة ألف نفس. فكيف يمكن إيواء كل هؤلاء الضيوف. أرجوك، تدبَّر أن يأتي العريس وحده إلى منزلي».

قال ابن آوى: «حسن جداً. لقد قلت لك في البداية إنك لن تكون قادراً على إيواء كل حاشية سيدي المهيب. سأفعل ما تريد. وسيجيء مولاي وحده في ثياب عادية. أرسل جواداً لهذا الغرض».

جاء ابن آوى، مصحوباً بجواد إلى المكان حيث كان صديقه النسّاج. شكر الطيور والحيوانات على معروفها الجليل، ثم طلب منها كلها أن تذهب بعيداً، في حين عاد هو والنسّاج على ظهر الجواد إلى قصر الملك.

كان الحشد الزفافي ينتظر في القصر، وقد شعروا جميعاً بخيبة أمل كبيرة لهذا الظهور الشخصي للنسّاج، غير أن ابن آوى أخبرهم أن سيده ارتدى عمداً ملابس رثة لأن الملك، حماه المفترض، أعلن أنه غير قادر على إيواء العريس مع كل مرافقيه إن هو جاء بصورةٍ رسمية.

بدأ الكاهن الملكي الآن حفلة زواج عجيبة، وعقد رباط الزواج إلى الأبد. نادراً ما حرك العريس شفتيه وتلك كانت تعليمات ابن آوى الذي خشي أن يخذله حديثه ويفضحه. وفي الليل -مستلقياً على السرير- أخذ يعد خشب السقف وعوارضه، ثم قال بصوت مسموع: «هذه العارضة سيصنع منها نولٌ من الدرجة الأولى، وتلك العارضة الهائلة أيضاً، وتلك التي هناك ستكون مناسبةً تماماً لصنع أمشاط لجعل الأطراف جيدة».

بلغت دهشة الأميرة مبلغاً عظيماً، وشرعت تفكر في سرها: «هل الرجل الذي ربطوني به ملك أم نسّاج؟ أنا أخشى أنه الأخير، وإلا لماذا يفكر بالنول والعارضة والأمشاط؟ آه، يا ويلي! أهذا ما خبأه لي القدر؟».

وفي الصباح أطلعت الأميرةُ الملكةَ الأم عن مناجاة النسّاج لنفسه. دهش الملك والملكة مما قاله ابن آوى عند ذكر الملك لهذا حين قال: «جلالتك لا تحتاج لأن تستغرب من مناجاة سيدي المهيب لنفسه. إن قصره محاطٌ بسكنى سبعمئة عائلةٍ من أعظم النساجين في العالم ممن أعطاهم أراضي معفاة من الإيجار، الذين يظلون على الدوام يلجأون إليه طلباً للصدقة. لابدّ من أنه في إحدى حالاته الانسانية قد أدهشك يا صاحب الجلالة بتلفظه

بعض الأشياء عند مناجاته لنفسه».

مهما يكن، فقد شعر ابن آوى الآن أن الوقت المناسب له وللنساج قد حان لأن يرحلا مع الأميرة ما دامت سذاجة ما يتفوَّه به صديقه عن النول قد توقعهما في المخاطر في أي لحظة. لذا، أخبر الملك أن شؤون الدولة لا تسمح لسيده المهيب أن يقضي يوماً آخر في القصر، وأن عليه أن يغادر عائداً إلى مملكته في ذلك اليوم ذاته مع عروسته، وأن مولاه عليه أن يرحل راجلاً، الأميرة وحدها، الملكة الآن، ستغادر المدينة على محفَّة.

وبعد أخذٍ ولأي، اقتنع الملك والملكة بالاقتراح. وصلت المجموعة إلى طرف قرية النساج، وهنا صُرف حملة المحفة وعادوا من حيث أتوا، والأميرة التي سألت عن قصر زوجها اضطرت أن تسير راجلة. وأخيراً وصلوا إلى كوخ النساج، وخاطب ابن آوى الأميرة قائلاً: «هذا، يا سيدتي، هو قصر زوجك».

بدأت الأميرة تضرب رأسها من شدة اليأس، قائلة: «آه، يا لحظي البائس، أهذا هو الزوج الذي قدَّره لي براجاباتي[1]؟ إن الموت خير لي ألف مرة من هذا».

---

(1) إله الزواج (المؤلف).

ولما وجدت الأمير ألاّ شيء يمكن فعله، أذعنت لقدرها. لكنها عزمت على أن تجعل زوجها ثريّاً، خصوصاً وهي تعرف سرَّ أن يصير المرء ثريّاً. وذات يوم أخبرت زوجها أن يشتري ببيسةٍ واحدة طحيناً. أضافت قليلاً من الماء إلى الطحين ودهنت بالعجين جسدها. وعندما جف المحلول على جسدها شرعت تزيله بأصابعها، وإذ تساقط في كرات صغيرة من جسدها أخذ يستحيل ذهباً. كررت هذا العملية يوماً بعد يوم، وهكذا حصلت على كمية هائلة من الذهب، وصارت تملك منه ما لا يملكه ملك في خزائنه.

وظفت بذلك الذهب جيشاً من البنائين والنجارين والمعماريين الذين بنوا لها في زمن قياسي واحداً من أجمل قصور الدنيا. جلبت سبعمئة عائلة من النساجين واستقرت حول القصر. بعد هذا كتبت رسالة لأبيها تخبره أنها تأسف لعدم تشريفه لها بزيارة منذ زواجها، وأنها ستكون في غاية السعادة إن هو تكرَّم الآن بالمجيء، ثم حُدد اليوم المعلوم.

استعدت الأميرة لاستقبال أبيها استعداداً فريداً من نوعه. فأقيمت المستشفيات في أجزاء كثيرة من المدينة لمداواة المرضى من البشر والحيوانات. ووفرت أوراق التنبل للآلاف المؤلفة من

الحيوانات على جوانب الطرقات. فرشت الشوارع بالشالات الكشميرية ليمشي أبوها ومرافقوه عليها. ولم تكن ثمة من نهاية لإظهار الثروة والخيرات.

وصل الملك والملكة في زيارة رسمية، وكانا في غاية البهجة مما رأياه من الثراء الفاحش والنِعم التي يتمتع بها زوج ابنتهما. وظهر الآن ابن آوى في المشهد، وراح يحيي الملك والملكة، قائلاً: «ألم أقل لكما؟».

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة... إلخ

الولد الذي على جبينه القمر

عاش ملك، وكان له ست ملكات، لم تحمل واحدةٌ منهن طفل. استشير الأطباء والحكماء المبجلين والرهبان، واستخدمت أنـواع شتى من العقاقير، من دون جدوى كان الملك محزوناً مفطور القلب. نصحه وزراؤه أن يتزوج امرأة سابعة، فأخذ يبحث عن واحدة.

كانت تعيش في المملكة امرأةٌ فقيرة اعتادت أن تجمع مخلفات الأبقار من الحقول، وتعدُّها على هيئة أقراص، ثم تجففها في الشمس وتبيعها في السوق وقوداً. وكانت تلك هي وسيلتها في كسب عيشها. كان لهذه المرأة ابنة ذات جمال باهر سحر كلَّ من رآها، وكان جمالها وحده هو الذي جعل ثلاث سيدات من الطبقات العليا يعقدن صداقتهن معها. أولئك السيدات هن ابنة وزير الملك وابنة تاجر ثري وابنة الكاهن الملكي.

أولئك الفتيات الثلاث وابنة المـرأة الفقيرة كنَّ ذات يوم يستحممن في بركة قريبة من القصر. وبينما يمارسن استحمامهن الطقوسي، ركَّزت كلُّ واحدةٍ منهن على إحدى مزاياها الطيبة. قالت ابنة وزير الملك تخاطب ابنة التاجر: «اسمعي يا أختاه، الرجل الذي سيتزوجني سيكون رجلاً سعيداً، لأنه لن يحتاج إلى أن يشتري لي ملابس، فالملابس التي أرتديها لا تبلى ولا تفنى ولا تتمزق».

وقالت ابنة التاجر: «وزوجي سيكون سعيداً أيضاً لأن الحطب الذي استخدمه في المطبخ لا يتحول قطّ إلى رماد. والحطب ذاته يستخدم يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة».

وقالت ابنة الكاهن الملكي: «وزوجي أيضاً سيكون سعيداً، لأن الأرز الذي أطبخه في يوم لا ينتهي، وبعد أن نأكل كلنا حتى الشبع، فإن الكمية التي طُبخت في البداية تبقى كما هي دائماً في الوعاء».

وقالت ابنة المرأة الفقيرة بدورها: «والرجل الذي سيتزوجني سيكون سعيداً، لأنني سألد له طفلين توأمين، ولداً وبنتاً. البنت ستكون ذات جمال ملائكي، والولد سيكون على جبينه القمر، وفي راحتيه ستتلألأ النجوم».

سمع الملك هذه المحادثة السابقة، فقد كان مشغولاً بالبحث عن زوجة سابعة واعتاد أن يتسلل خلسة إلى الأماكن التي تجتمع فيها النسوة. وهكذا فكر الملك في سريرته قائلاً: «أنا لا أكترث على الإطلاق للفتاة التي لا تبلى أثوابها ولا تفنى، ولا تتمزق، ولا بالفتاة الأخرى التي لا يُستهلك وقودها، ولا بالثالثة التي لا ينفد وعاء أرزها. أما الفتاة الرابعة فتلك هي الفتنة الحقة، ولدٌ وبنت، البنت ذات جمال إلهي، والولد على جبينه القمر وفي راحتيه تتلألأ النجوم. تلك هي الفتاة التي أبحث عنها. ولسوف أجعلها زوجتي وملكتي».

وبالاستعلام عن الفتاة في اليوم ذاته، تبين الملك أن الفتاة الرابعة هي ابنة امرأةٍ فقيرة تلتقط مخلفات الأبقار من الحقول، ومع أن الفرق الطبقي كان شاسعاً جداً بينه وبينها، فإنه عقد العزم على الزواج بها. وأرسل في اليوم نفسه للمرأة العجوز الفقيرة. ذعرت المسكينة أيّما ذعر حين أبصرت رسول الملك يقف بباب كوخها. ظنت أن الملك قد أرسل في طلبها لمعاقبتها لأنها، ربما، قد التقطت ذات يوم من دون أن تدري بعض مخلفات ماشية الملك.

ذهبت إلى القصر، وسُمِح لها أن تدخل إلى حجرة الملك الخاصة. سألها الملك عمّا إذا كان لها ابنة جميلة، وعمّا إذا

كانت ابنتها صديقة لابنة وزيره وابنة كاهنه. حين ردَّت المرأة بالإيجاب، قال لها: «سأتزوج ابنتك، وسأجعلها ملكتي».

لم تكد المرأة تصدق ما سمعته أذناها، إذ كان الأمر شديد الغرابة. لكنه أعلن لها جاداً أنه قد اتخذ قراره، وعزم على الزواج بابنتها. وسرعان ما شاع الخبر في العاصمة كلها أن الملك سيتزوج ابنة عجوز تجمع مخلفات الأبقار في الحقول. وعندما سمعت الملكات الست بالخبر لم يصدقنه حتى أخبرهن الملك نفسه بأن الخبر صحيح. ظنت الملكات أن الملك فقد عقله تقريباً. قلن له: «أي حماقة هذه، وأي جنون، أن تتزوج فتاة لا تصلح لأن تكون خادمة لنا! ثم هل تتوقع منا أن نعاملها كمساوية لنا، فتاة تجمع أمها مخلفات الماشية من الحقول! بالتأكيد، يا مولانا، لقد فقدت صوابك!».

مهما يكن، فلم يتزحزح الملك عن قراره. واستدعى المنجمين الملكيين، وحُدِّد اليوم الميمون للاحتفال بزواج الملك. وفي اليوم الموعود عقد الكاهن رباط الزواج، وصارت ابنة المرأة الفقيرة، جامعة مخلفات الماشية من الحقول، أحب الملكات السبع إلى قلب الملك.

بعد احتفالات الزواج بفترة، ذهب الملك لمدة ستة أشهر إلى بعض أنحاء مملكته. وقبل أن يرتحل، دعا إليه الملكة السابعة وقال لها: «أنا ذاهب، لمدة ستة أشهر، إلى بعض أطراف مملكتي. قبل أن تنتهي تلك المدة، أتوقع منك أن تكوني محتجزة. لكنني أود أن أكون معك في الوقت ذاته، لأن اعداءك يمكن أن يدبروا لك شراً. خذي هذا الجرس الذهبي وعلقيه في حجرتك. وحين تشعرين بآلام الولادة، اقرعيه وسأكون إلى جوارك في الحال، مهما كنت في مكان بعيد عنك. تذكري ألاّ تقرعي الجرس إلا حين تشعرين بآلام الولادة».

بعد أن قال الملك هذا، مضى في رحلته. سمعت الملكات الست ما قاله الملك، وذهبن في اليوم التالي إلى جناح الملكة السابعة، وقلن لها: «أي جرس ذهبي جميل هذا الذي حصلتِ عليه، يا أختاه! من أين حصلتِ عليه ولماذا علقته هنا؟»».

قالت الملكة السابعة في سذاجة: «الملك أعطاني إياه، وإن قرعته سيكون الملك هنا في الحال مهما كان بعيداً».

قالت الملكة السادسة: «مستحَيل! لابدّ من أنك أسأت فهم الملك. من يصدق أن هذا الجرس يمكن أن يُسمع على بعد مئات الأميال؟ وفضلاً عن ذلك، إن أمكن سماعه، فكيف يستطيع الملك

أن يسافر مسافة هائلة في لمح البصر؟ لابدّ من أن هذه خدعة. لو أنك قرعت الجرس، لتبينتِ أن ما قاله الملك ليس سوى هراء».

ثم أخبرتها الملكات الست أن تجرِّب. في البداية لم ترد أن تفعل متذكرةً ما أخبرها به الملك، لكنها في النهاية اقتنعت أن تقرع الجرس. كان الملك قد بلغ منتصف المسافة إلى عاصمة المقاطعات الأخرى، لكنه توقف عند سماع الجرس، وقطع رحلته وعاد، وسرعان ما كان في حجرة الملكة. ولما أبصرها تدور في غرفتها، سألها لماذا قرعت الجرس مع أن ساعتها المحددة لم تحن بعد. قالت، من دون أن تخبره عن توسل الملكات الست وإلحاحهن، إنها قرعت الجرس فقط لترى إن كان ما قاله لها صحيحاً.

اغتاظ الملك، وأخبرها بجلاء ألاّ تقرع الجرس ثانية حتى تحين آلام الولادة، ثم ذهب.

وبعد أن انقضت بضعة أسابيع ترجت الملكات الست الملكة السابعة أن تحاول ثانية قرع الجرس. قلن لها: «في المرة السابقة حين قرعتِ الجرس، كان الملك لا يزال قريباً، وكان من السهل عليه حينها أن يسمع الجرس ويعود إليك؛ أما الآن فقد استقر في مكانٍ ناء في عاصمة أخرى، لنر الآن إن كان سيسمع الجرس ويعود إليك».

رفضت لفترةٍ طويلة، لكنها في الأخـير استسلمت لهن وقرعت الجرس. وحين تناهى صوته إلى سمع الملك وكان حينها في المحكمة يقيم العدالة، لكنه وقد سمع الجرس (وما من أحدٍ غيره سمعه)، أوقف المحكمة، وصار على الفور في حجرة الملكة. ولما وجد أن الملكة ليست في المخاض، سألها لماذا قرعت الجرس قبل الأوان، أجابته، من دون أن تذكر شيئاً عن إلحاح الملكات الست، أنها فقط جرَّبت الجرس للمرة الثانية.

صار الملك غاضباً غضباً شديداً، وقال لها: «اسمعي الآن، ما دمت قد استدعيتني مرتين بلا ضرورة، فلتعرفي تماماً أنك حين تشعرين حقاً بآلام المخاض، وتقرعين الجرس إلى الأبد بشدة، فلن أجيء إليك. لابدّ من أن تُتركي لتواجهي مصيرك».

قال الملك ذلك، ومضى.

وأخـيراً، حلَّ يوم ولادة الملكة. عند شعورها بداية الآلام، قرعـت الجرس الذهبي. وانتظرت، ولم يأت الملك. وقرعته ثانية بكل قوتها ولم يظهر. لقد سمع الملك الجرس بالتأكيد، لكنه لم يأت لأنه كان غاضباً على الملكة.

حين رأت الملكات الست أن الملك لم يعد، ذهبن إلى الملكة السابعة وقلن لها إنه ليس من المعهود أن تُحجز سيدات القصر في أجنحة الملك، ولا بدَّ لها أن تذهب إلى كوخ قريب من الإصطبلات. بعد ذلك أرسلن في طلب قابلة القصر، ورشينها بسخاء وطلبن منها أن تتخلص من المولود لحظة خروجه إلى الدنيا.

ولدت الملكة السابعة ولداً على جبينه القمر وفي راحتيه تتلألأ النجوم، كما ولدت بنتاً ذات جمال استثنائي. جاءت القابلة ومعها زوج من الجراء وُلدا حديثاً. وضعتهما أمام الأم وقالت: «لقد وَلدتِ هذين».

وأخذت المولودين التوأمين في وعاء من الفخار. كانت الملكة في حالةٍ من اللاوعي في تلك اللحظة فلم تر التوأمين وهما يُحملان بعيداً.

مع أن الملك كان غاضباً من الملكة السابعة، لكنه تذكر أنها كانت على وشك أن تضع وريثاً لعرشه، فغيَّر رأيه، وجاء لرؤيتها صباح اليوم التالي. أُحضر الجروان إلى الملك بوصفهما مولودي الملكة. كان غيظ الملك وحنقه قد بلغا ذروتهما. فأمر بأن تُطرد الملكة السابعة من القصر، وأن تلبس الجلود، وأن تُوظف في

السوق لطرد الغربان والكلاب. وعلى الرغم من أنها لم تكن تقدر على الحراك فقد طُردت من القصر، ونُزعت عنها ثيابها الجميلة، وألبست الجلود، وتركت لتطرد الغربان من السوق.

حين وضعت القابلة الطفلين في الوعاء الفخاري، فكرت بأفضل طريقة للتخلص منهما. ولم تجده ملائماً أن ترميهما في البركة خشية أن يُكتشفا في اليوم التالي. ولم تر أن دفنهما في الأرض حلٌّ معقول لأنهما قد يُنبشا من قِبَل ابن آوى ثم يظهرا أمام أعين الناس. رأت أن أفضل طريقة هي أن تحرقهما وتحيلهما إلى رماد، فلا يبقى لهما أثر. لكن كيف يمكنها أن تحرقهما في تلك الساعة من الليل من دون أن يساعدها أحد؟ ثم خطرت بذهنها فكرةٌ سارة.

كان في ضاحية المدينة خزّاف اعتاد أن يقولب الأوعية الفخارية على عجلته خلال النهار ثم يحرقها آخر الليل. اعتقدت القابلة أن أفضل خطةٍ هي أن تضع الوعاء الذي فيه الطفلان مع أوعية الطين التي لم تُحرق بعد والتي رصها الخزاف على النار وذهب لينام، بهذه الطريقة -هكذا ظنت- سيصير الطفلان رماداً. وضعت الوعاء مع قطع الفخار التي لم تحرق بعد، وفرت بعيداً.

ولسبب أو لأخر، نام الخزّاف وزوجته في تلك الليلة. وعند الفجر، استيقظت زوجة الخزاف، وأيقظت زوجها قائلة: «أوه، يا زوجي الطيب، لقد غلبنا النوم، لقد أوشك الصباح أن يطلع، وأخشى أن الوقت قد تأخر على إشعال النار لِشيٍّ الفخار غير المحروق».

أسرعت دون أن تغلق باب كوخها، وهرعت إلى مكان الأوعية المصفوفة. لم تستطع أن تصدّق عينيها عندما رأت أن كل الأوعية قد بدت حمراء لامعة، مع أنها لم تشعل النار لا هي ولا زوجها. تعجبت من حظها الحسن، ولم تستطع أن تفهم الأمر، وعادت إلى زوجها تقول له: «تعال، وانظر».

خرج الخزّاف، وأبصر، وتعجب. لم يسبق للأوعية الفخارية أن بدت محروقة على ذلك النحو الرائع. ترى، من فعل هذا؟ لا أحد، سوى أن يكون إلهاً أو آلهة من فعل هذا من أجلهما. أخذ يَلف ويدور حول الأوعية ويتلمسها ثم قلَب مصادفة أحدها، ويا للدهشة! وجد بداخله رضيعين حديثي الولادة يتمتعان بجمال إلهي. قال الخزّاف لزوجته: «يا عزيزتي علينا أن نعلن أننا حصلنا على طفلين توأمين جميلين».

ووضعت كل الترتيبات، وفي الوقت المعلوم أعلن أن زوجته ولدت طفلين. ويا لجمال هذين الطفلين! وجاءت النسوة في اليوم ذاته من أنحاء الحي ليزرن زوجة الخزاف وطفليها اللذين ولدتهما، ويباركن لها حظها السعيد غير المتوقع. كانت زوجة الخزاف غير قادرة على أن تكون شديدة الفخر بطفليها المزعومين، وقالت لصديقاتها المعجبات: «كان من العسير عليَّ أن آمل في الحصول على أطفال. لكن ها هي الآلهة قد وهبتني الآن هذين التوأمين، أرجو أن ينالا برکاتکن، وأن يعيشا إلى الأبد!».

شبَّ التوأمان وصارا قويين. كان الولد وأخته عندما يلعبان في الحقول والأزقة موضع إعجاب كل من أبصرهما، وكان الجميع يتعجبون من حظ الخزاف السعيد اللامألوف إذ رُزق بهذين الطفلين الملائكيين. بلغا سن الثانية عشرة، فوقع أبوهما المشهور مريضاً. كان من الواضح أن مرضه الشديد سيودي بحياته.

شعر الخزاف أن أجله قد دنا، فقال لزوجته: «يا عزيزتي، إني مغادر هذه الدنيا، لكني قد تركت لك ما يكفي لأن تعيشي عليه، عيشي حياتك، واهتمي بالطفلين».

قالت الزوجة: «لن أعيش بعدك. ومثل كل زوجة طيبة وفيَّة، فأنا عازمة على الموت معك. أنت وأنا سنُحرق معاً في محرقةٍ واحدة. أمّا عن الطفلين فقد بلغا من العمر ما يمكنهما من الاعتناء بنفسيهما، وأنت قد تركت لهما ما يكفي من النقود».

حاولت صديقاتها أن يثنينها عن عزمها من دون جدوى. مات الخزاف، وفي حين كانت جثته تحرق، رمت زوجته الأرملة بنفسها فوق المحرقة، إلى أن فارقت الحياة.

كان الولد الذي على جبينه القمر يُبقي جبينه مغطى بعمامة كيلا تجذب الهالة اهتمام الناس، وهو وأخته أوقفا معمل الفخار، وباعا العجلة والأوعية، وذهبا إلى السوق في مدينة الملك. وفي اللحظة التي دخلا، أضيء السوق فجأة. اندهش أصحاب الدكاكين إذ ظنوا أن كائنات إلهية دخلت السوق.

نظروا إلى الولد الجميل وأخته مذهولين. توسلوا إليهما أن يبقيا في السوق. بنوا لهما بيتاً. وعندما كانا يتجولان، كانا دائماً يُراقبان من مسافة من قِبَل امرأة ترتدي الجلود، وكانت قد عيِّنت بواسطة الملك في السوق لطرد الغربان. وعلى نحو مبهم، وبغريزة غريبة، كانت تظل قريباً من البيت الذي يقيم فيه الولد وأخته.

اشترى الولد بعد فترةٍ قصيره حصاناً، وذهب للصيد في الغابة المجاورة. وبينما يصطاد ذات يوم، كان الملك أيضاً يصطاد في الغابة ذاتها. ولما رأى رفيق صيد، اقترب الملك منه. دهش الملك من جمال الفتى، وشعر بانجذاب شديد نحوه منذ اللحظة التي أبصره فيها. مرَّ ظبي، فأطلق الفتى سهماً، فسقطت العمامة من رأسه، فأشرق من جبينه ضوءٌ كضوء القمر.

أبصر الملك، وتذكر في الحال الابن الذي على جَبينه القمر، وفي راحتيه تتلألأ النجوم والذي كان من المقرر أن تلده زوجته السابعة. بعد أن أطلق الفتى انطلق بحصانه بعيداً رغم توسل الملك إليه أن ينتظر ويتحدث معه. عاد الملك إلى قصره أكثر حزناً منه عندما خرج منه. صار متوترا نزقاً مكروباً.

سألته الملكة السادسة عما به ولماذا هو محزون. أخبرها أنه أبصر في الغابة فتىً على جبينه القمر ذكّره بالابن الذي كان يتوقع أن تلده الملكة السابعة. حاولت الملكات الست أن يخففن عنه بأفضل السبل التي قدرن عليها، لكنهن احترن كيف يمكن أن يوجد مثل ذلك الفتى. هل من الممكن أن التوأمين حيّان؟ ألم تقل القابلة إنها أحرقتهما وأحالتهما إلى رماد؟ من، إذن، عساه يكون الفتى؟

أرسل في طلب القابلة من قِبَل الملكات الست. أقسمت أنها أبصرت التوأمين يحترقان. أما عن الفتى الذي قابله الملك، فقد قالت إنها ستستفسر عنه وتعرف من هو. واستفسرت، وسرعان ما عرفت أن الغريبين يقيمان في السوق في منزل بناه لهما أصحاب الدكاكين. دخلت إلى البيت وأبصرت الفتاة فقط لأن الفتى كان قد خرج ثانية للصيد.

ادَّعت أنها خالتهما وأنها رحلت إلى مكان بعيد في البلاد بعد أن ولدتهما أمهما بوقت قصير، وأنها كانت تبحث عنهما منذ مدة طويلة، وأنها الآن سعيدة بالعثور عليهما في مدينة الملك قريباً من القصر. أعجبت كثيراً بجمال الفتاة، وقالت لها: «يا طفلتي العزيزة، إنك فائقة الجمال، وتحتاجين لزهرة الحسك التي تلائم جمالك. عليك أن تخبري أخاك أن يزرع صفاً منها في الفناء». سألت البنت: «أي زهرة تلك، يا خالتي؟ لم يسبق لي أن رأيتها».

«وأنّى لك أن تريها، يا طفلتي؟ إنها غير موجودةٍ هنا، إنها تنبت في الجانب الآخر من المحيط، ومحروسة بألف راكشاساس».

قالت البنت: «كيف، إذن، سيحصل عليها أخي؟».

«ربما حاول أن يحصل عليها لو طلبت منه».

اقترحت المرأة هذا الاقتراح على أمل أن يفنى الولد الذي على جبينه القمر في محاولته للحصول على الزهرة.

حين عاد الولد الذي على جبينه القمر من الصيد، أخبرته أخته عن زيارة خالتهما، وطلبت منه، إن كان ذلك ممكناً، أن يحصل لها على زهرة الحسك. كان متشككاً بخصوص وجود أي خالة لهما في هذا العالم، لكنه قرر -من أجل أن يُدخل السرور على أخته- أنه سيحصل على الزهرة التي تعلّق بها قلبها. وارتحل في اليوم التالي بعد أن أمر أخته ألا تتحرك من البيت حتى عودته. امتطى جواده المطهم الذي كان من نوع «الباكشيراج»، أي الحصان الطائر أو ملك الطيور، وسرعان ما وصل إلى أطراف ما بدت له غابة كثيفة لا حدود لاتساعها. لمح بعض «الراكشاساس» يجوسون باحثين عن فرائس. مضى إلى مسافة ما، وأطلق سهامه على أحد الغزلان ووحيد القرن في الأجمات المجاورة، ثم اقترب من المنطقة التي كان «الراكشاساس» يجوسون فيها، وصاح: «أيتها الخالة العزيزة، أيتها الخالة العزيزة، إن ابن أختك هنا».

أقبلت نحوه «راكشاساس» هائلة، وقالت: «أوه، أنت الفتى الذي على جبينه القمر، والنجوم تتلألأ في راحتيه. إننا جميعاً نتوقع مجيئك، لكن ما دمت قد ناديتني خالة فلن آكلك. عمَّ تبحث؟ وهل أحضرت أيَّ شيءٍ يؤكل من أجلي؟».

أعطاها الفتى الغزال ووحيد القرن اللذين قتلهما. سال لعابها لمرأى الحيوانين، وبدأت تلتهمهما. وبعد أن ابتلعت الجثتين، قالت: «حسناً، ما الذي تريده؟». قال الفتى: «أريد زهرة الحسك كاتاكي من أجل أختي».

أخبرته أنه سيكون من الصعب عليه أن يحصل على الزهرة، لأنها محروسة بسبعمئة «راكشاساس»، لكن عليه أن يحاول، إلا أن عليه قبل كل شيء أن يذهب إلى خاله في الطرف الشمالي من الغابة. وبينما كان الفتى ماضياً إلى خاله، قتل في طريقه غزالاً ووحيد قرن، وأبصر «راكشاساس» عملاقاً على مبعدةٍ منه، فصاح: «خالي العزيز، خالي العزيز، ابن أختك هنا. لقد أرسلتني خالتي إليك».

اقترب منه «الراكشاساس»، وقال له: «أنت الفتى الذي على جبينه القمر، والنجوم تتلألأ في راحتيه. كنت سأبتلعك على الفور لو لم تنادني خالي، ولو لم تقل إن خالتك أرسلتك إليَّ. والآن، ماذا تريد؟».

قدَّم له الغزال ووحيد القرن، فأكلهما، ثم أصغى للفتى الذي طلب زهرة الحسك. قال «الراكشاساس»: «أنت تريد زهرة كاتاكي! حسن جداً، حاول الحصول عليها إن استطعت. بعد مرورك عبر هذه الغابة، سوف تصل إلى غابة اللوف التي يصعب اجتيازها. قل لتلك الغابة: أيتها الأم كاشيري! أرجوك اسمحي لي بالمرور، وإلا متُّ. وفي تلك الغابة ستفتح لك طريقاً. ثم ستصل بعد ذلك إلى المحيط، قل للمحيط: أيها الأب المحيط! اسمح لي بالمرور، وإلا متُّ، وسيفسح لك المحيط. بعد اجتياز المحيط ستدخل إلى الحديقة التي تُزهر فيها زهرة الحسك كاتاكي. وداعاً، افعل كما أخبرتك».

شكر الفتى خاله «الراكشاساس» ومضى في سبيله. بعد أن اجتاز الغابة، أبصر غابة اللوف كاشيري التي يصعب اجتيازها إذ كانت مغلقة بإحكام وكثيفة مكتظة بالشوك لدرجة أن فأراً صغيراً لا يقدر على اختراقها. تذكر نصيحة خاله، ووقف أمام الغابة بيدين مطويتين، وقال: «أيتها الأم كاشيري، أرجوك، اسمحي لي بالمرور، وإلاّ مت».

وفجأة انفتح ممرٌّ في الغابة اجتازه الفتى مسروراً. ثم أبصر المحيط يمتد أمامه. قال للمحيط: «أيها الأب المحيط! أرجوك،

اسمح لي بالمرور، وإلاّ متُّ». فانفتحت المياه، ووقفت على الجانبين مثل سورين، تاركة الفتى يمر من دون أن يتبلل.

والآن، كانت على يمينه حدائق زهرة الحسك كاتاكي. دخل ووجد نفسه في قصر هائل بدا خالياً لا يسكنه أحد. أخذ ينتقل من حجرة إلى حجرة، ومن جناح إلى جناح حتى أبصر فتاة ذات جمال سماوي نائمة على سرير من الذهب. اقترب منها ولاحظ عصوين صغيرين إحداهما ذهبية والأخرى فضية، موضوعتين على هيكل السرير. كانت العصا الفضية موضوعة عند قدمي الفتاة النائمة، والعصا الذهبية موضوعة قريباً من رأسها.

وبينما يتفحصهما سقطت العصا الذهبية على قدمي السيدة. وفي الحال استيقظت، وجلست، وقالت للفتى: «أيها الغريب، كيف وصلت إلى هذا المكان الموحش. أنا أعرف من أنت، وأعرف تاريخك. أنت الولد الذي على جبينه القمر، وفي راحتيه تتلألأ النجوم. اهرب، اهرب من هذا المكان! إنه موطن السبعمئة راكشاساس الذين يحرسون حدائق زهرة الحسك كاتاكي. لقد ذهبوا جميعاً للصيد وسيعودون عند المغيب، فإذا وجدوك هنا فسيأكلونك. لقد جاءت بي إحدى الراكشاساس من الأرض حيث أبي ملك من ملوكها. إنها تحبني حبّاً طاغياً،

ولن تدعني أذهب. بهاتين العصوين تضربني حين تروح في الصباح وتحييني حين تغدو في المساء. اهرب، اهرب الآن، وإلا هلكت!».

أخبر الفتى السيدة الشابة كيف أن أخته أحبت كثيراً أن تحصل على زهرة الحسك كاتاكي وكيف اجتاز غابة اللوف كاشيري وكيف عبر المحيط. وقال لها أيضاً إنه عازم على ألا يعود وحده، بل لا بد له أن يصطحبها معه. أمضيا معاً بقية النهار يتجولان في الحدائق. وحين اقترب وقت عودة «الراكشاساس» دفن الفتى نفسه وسط كومة هائلة من زهرة الحسك، كانت في الحجرة الملاصقة، بعد أن أمات الفتاة بملامسة رأسها بالعصا الذهبية.

وما إن غربت الشمس حتى سمع الفتى صوتاً هائلاً أشبه بصوت العاصفة: كان ذلك هو صوت السبعمئة «راكشاساس» العائدين إلى الحدائق. دخلت إحدى «الراكشاساس» حجرة السيدة الشابة، وأعادتها إلى الحياة، وقالت: «إني أشم رائحة إنسان، إني أشم رائحة إنسان».

أجابت الفتاة: «كيف يستطيع إنسان إن يجيء إلى هذا المكان. إنني الإنسانة الوحيدة هنا».

استلقت «الراكشاساس» عندئذ على أرضية الحجرة، وطلبت من الفتاة أن تدلك لها قدميها. وبينما تفعل ذلك تركت قطرة من الدمع تسقط على ساق «الراكشاساس». سألتها آكلة اللحوم: «لماذا تبكين، يا عزيزتي الصغيرة؟ لماذا تبكين؟ هل من شيءٍ يضايقك؟».

أجابت الفتاة: «لا، يا ماما، لا شيء يضايقني. ما الذي يمكن أن يضايقني وقد جعلتني في أحسن حال؟ فقط، كنت أفكر ما الذي سيحدث لي بعد أن تموتي!».

«عندما أموت، أيتها الطفلة؟ وهل سأموت؟ نعم، بالطبع، كل المخلوقات تموت؛ لكن موت الراكشاساس لا يحدث البتة. أنت تعرفين، أيتها الصغيرة، تلك البحيرة العميقة التي في هذه الحدائق. حسناً، في قاع تلك البحيرة صندوق خشبي، وفي داخله نحلةٌ ويعسوب. لقد كُتِبَ أن إنساناً له قمر على جبينه والنجوم تتلألأ في راحتيه سيأتي إلى هنا ويغوص في البحيرة، ويمسك بذلك الصندوق الخشبي، ثم يسحق النحلة واليعسوب من دون أن يدع قطرة من دمهما تسقط على الأرض، عندئذ سنموت كلنا. غير أن تحقيق هذا القدَر المكتوب يعد مستحيلاً. والسبب هو أنه في المقام الأول لا يوجد إنسان له قمرٌ على

جبينه، والنجوم تتلألأ في راحتيه، وثانياً إن وجد مثل هذا الإنسان فسيجد أن من المستحيل عليه أن يصل إلى هنا، إلى مكان يحرسه سبعمئة منا، ومحاطٍ بمحيط عميق، وتفصله عن العالم غابات اللوف التي لا يمكن اختراقها، فضلاً عن المخافر، وقواعد الحراسة الموضوعة على الجانب الآخر من الغابة. وحتى لو نجح ذلك الإنسان في المجيء إلى هنا فلعله لن يعرف مطلقاً سر ذلك الصندوق الخشبي، ولو عرف، فقد لا ينجح في قتل النحلة واليعسوب من دون أن يُسقِط قطرةً من دمهما على الأرض. ويا ويله إن هو أسقط قطرةً من دمهما على الأرض لأن تلك القطرة ستتحوَّل إلى سبعمئة واحد منّا. هل رأيتِ، إذن، يا طفلتي، كيف أننا تقريباً من الخالدين – ليس تماماً، لكن إلى حد كبير، لذلك، عليك أن تتخلصي من مخاوفك».

وفي الصباح التالي، نهضت «الراكشاساس»، وأماتت الفتاة بإحدى العصوين، وخرجت تبحث عن الطعام مع بقية أبناء جنسها. خرج الفتى الذي على جبينه القمر والنجوم تتلألأ في راحتيه، من كومة الأزهار، وأحيا الفتاة. أعادت الفتاة عليه كل ما سمعته من «الراكشاساس». وكان ذلك بالنسبة إليه كشفاً تاماً. لم يضع الوقت، بل باشر العمل. غاص إلى قاع البحيرة

العميقة وأحضر الصندوق الخشبي. فتحه، وأمسك النحلة واليعسوب لأنهما كان على وشك الطيران. سحقهما براحتيه ودهن جسمه بدمهما. وما إن أتمّ هذا، حتى سُمِع صراخٌ وعويل رهيبان يترددان حول الحدائق. وحسب ذلك القَدر المكتوب سقط كل «الراكشاساس» موتى. أخذ الفتى الذي على جبينه القمر من زهور الحسك «كاتاكي» قدر ما استطاع، وأخذ معه بذورها وغادر القصر الذي كانت تحوطه جبال جثث العفاريت العملاقة، ومضى مع الفتاة الجميلة. انفلقت مياه المحيط أمامهما، وغابة «كاشيري» فتحت لهما ممراً، ووصل الاثنان السعيدان المنزل الذي في السوق حيث رحبت الأخت بالفتى الذي على جبينه القمر.

وفي اليوم التالي، ذهب الفتى كالمعتاد للصيد. وكان الملك أيضا هناك. وحين مرت غزالة، وأطلق الفتى سهمه وسقطت العمامة من رأسه، فشعّ الضوء من جبينه. شهد الملك المعجزة، وطلب من الفتى أن يتوقف لأنه أراد أن يعقد معه صداقة. أخبره الفتى أن يأتي إلى منزله، وأعطاه عنوانه. ذهب الملك إلى منزل الفتى في منتصف النهار. «بوشبافاتي» -وهذا هو اسم الفتاة التي أُحضرت من وراء المحيط- أخبرت الملك -لأنها كانت

تعرف كل الحكاية– كيف أُقنعت ملكته السابعة من قِبَل الملكات الست أن تقرع الجرس مرتين قبل الأوان، وكيف ولدت التوأمين الجميلين الولد والبنت، وكيف وُضع الجروان بدلاً منهما، وكيف أنقذا بمعجزة من النار في معمل الخزاف، وكيف عوملا معاملة حسنة في السوق، وكيف أنقذها الفتى الذي على جبينه القمر من قبضة «الراكشاساس».

بلغت ثورة الملك ذروتها على الملكات الست، فجمعهن في اليوم التالي، ودفنهن في الأرض، وأحضرت الملكة السابعة من السوق، وأُعيد تنصيبها ملكة، وعاش الفتى الذي على جبينه القمر و«بوشبافاتي» الجميلة، وأختهما في سعادة معاً.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

الشبح الخائف

عاش أحد الحلاقين مع زوجته عيشة نكدة لأن الزوجة كانت تشكو على الدوام من أنها لا تجد ما يكفيها من الطعام. كثيراً ما كانت تنهال على زوجها التعيس بمحاضراتها التقريعية. كانت تقول له: «إن لم يكن لديك وسيلة للإنفاق على زوجة، فلماذا تزوجتني؟ الناس الذين لا يستطيعون تدبير عيشهم، لا ينبغي لهم أن يخوضوا في ترف الزواج. حين كنت في منزل أبي كان لدي الكثير من الطعام لآكله، أما هنا، فيبدو أنني جئت إلى هذا البيت لكي أصوم. الأرامل وحدهن هنَّ اللائي يصمن، أما أنا فقد صرت أرملة وأنت على قيد الحياة».

ولم تقنع بالكلمات وحدها؛ بل إنها في أحد الأيام استشاطت غضباً فضربت زوجها بمكنسة المنزل. لسعه الشعور بالعار، ودفعه اشمئزازه من نفسه بسبب تقريع زوجته وضربها إياه إلى مغادرة المنزل مع عدّة عمله، وأقسم ألاّ يرجع لرؤية وجه زوجته ثانية إلا بعد أن يصير ثريّاً. تنقَّل من قريةٍ إلى أخرى، ووصل عند حلول

الظلام إلى طرف إحدى الغابات. استلقى تحت شجرةٍ وقضى ساعة حزن مريرة يندب حظه البائس.

كان يسكن تلك الشجرة التي استلقى تحتها أحد الأشباح. ولما رأى الحلاق مستلقياً تحت الشجرة فقد كان من الطبيعي أن يفكر بقتله. نزل الشبح من الشجرة وبذراعين ممدودين إلى أقصى مدى، وفم مفتوح على اتساعه، وقف مثل شجرة نخلٍ طويلة السعف أمام الحلاق، وقال له: «والآن، أيها الحلاق، لسوف أقتلك. فمن سيحميك؟».

ومع أن الحلاق كان يرتعد خوفاً وفَرَقاً، وكان شعره قد انتصب واقفاً، فإنه لم يفقد حضوره الذهني، وبصرامة ودهاء تتسم بها سماحته الأخوية، أجاب: «أيها الروح، أنت ستحطمني! انتظر هنيهةً، وسأريك كم من شبح قد أسرته في هذه الليلة وحدها ثم وضعته في حقيبتي هذه. وسأكون سعيداً أن أحصل عليك أنت أيضا وأضيفك إلى ما في حقيبتي».

قال هذا، ووضع حقيبته وأخرج مرآةً صغيرة طالما حملها مع أمواس الحلاقة وحجر الشحذ وغير ذلك من الأدوات، كي يُرِي زبائنه إن كانت ذقونهم محلوقة بشكلٍ مرض. قال: «انظر، هذا هو أحد الأشباح التي أمسكت بها؛ وسأضعك

أيضاً معها في هذه الحقيبة».

رأى الشبح صورته في المرآة، واقتنع بصدق ما قاله الحلاق، فاستولى عليه الرعب. قال للحلاق: «أوه، يا سيدي الحلاق، سأفعل أي شيء تأمرني به، فقط لا تحبسني في حقيبتك. لسوف أعطيك ما تريد».

قال الحلاق: «أنتم، معشر الأشباح لا أمان لكم ولا ثقة. إنكم تَعِدون، ثم تحنثون بوعودكم ولا تفون بها».

«يا سيدي، ارأف بي، سوف أجلب لك ما تريد، وإن لم أفعل، احبسني في حقيبتك».

«حسناً جداً، اتفقنا! احضر لي ألف قطعة من الذهب الخالص، وفي مساء الغد أقم لي في منزلي مخزنا واملأه بالأرز غير المقشور. اذهب، واحضر الذهب في الحال، وإلا حبستك حتماً في حقيبتي».

اقتنع الشبح بهذه الشروط، وذهب ثم عاد سريعاً بحقيبة فيها ألف قطعة ذهبية. سر الحلاق إلى أبعد حد بمرأى القطع الذهبية. عندئذٍ أخبر الشبح أن يتأكد من أنَّ المخزن قد أقيم في منزله مساء الغد ومُلأ بالأرز غير المقشور.

وفي ساعات الصباح الأولى، طرق الحلاق باب منزله حاملاً كنزه الثقيل. زوجته، التي وبخت نفسها لما ارتكبته من حماقة في حق زوجها في نوبة غضب، نهضت من سريرها وفتحت الباب. دهشت دهشةً بالغة وهي ترى زوجها يصبُ من حقيبته كومةً من الذهب اللمّاع.

وفي الليلة التالية، أقام الشبح المسكين مخزناً في بيت الحلاق وظل طوال الليل يحمل الأرز كي يملأه، كل ذلك خوفاً من أن يحبسه الحلاق في حقيبته. أبصره عمه وهو يفعل ذلك، فسأله عن الخطب. حكى له الشبح ما حدث. عندئذ قال له عمه: «أيها الأحمق، أتظن أن الحلاق يستطيع أن يحبسك في حقيبته! إن الحلاق محتال كبير، لقد خدعك، أيها الساذج، إذ وجدك مغفلاً حقاً».

قال ابن أخيه الشبح: «أنت، إذن، تشك في قدرة الحلاق! تعال وانظر».

ذهب العم الشبح إلى منزل الحلاق، وتلصص عليه من النافذة. أدرك الحلاق من عصفة الريح في النافذة التي أحدثها وصول الشبح، فنصب أمامه المرآة في النافذة، قائلاً: «هيّا، أقبل الآن، وسأضعك أنت أيضا في الحقيبة».

أبصر العم الشبح وجهه في المرآة، فذعر تماماً، ووعد أن يقيم هو الآخر في تلك الليلة ذاتها مخزناً آخر في منزل الحلاق ثم يملأه هذه المرة بالأرز النظيف، وليس بالأرز غير المقشور.

وهكذا، في ليلتين فقط، صار الحلاق ثريّاً، وعاش سعيداً مع زوجته، وخلّفا بنين وبنات، وأحفاد وحفيدات.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

حقل العظام

في قديم الزمان عاش أحد الملوك وكان له ابن واحد، وكان لابنه هذا ثلاثة أصدقاء: ابن رئيس الوزراء، وابن رئيس الشرطة وابن أثرى أثرياء التجار في المدينة. كان هؤلاء الأصدقاء يحبون بعضهم بعضاً حباً جماً.

ذات يوم قرر هؤلاء الأصدقاء الذهاب لرؤية بلدان نائية. فانطلقوا ممتطين خيولهم. وظلوا يواصلون ارتحالهم حتى بلغوا في الظهيرة طرف إحدى الغابات الكثيفة. استراحوا هناك لبعض الوقت وربطوا خيولهم إلى الأشجار لترعى. وبعد أن استعادوا نشاطهم ركبوا خيولهم واستأنفوا رحلتهم. وعند غروب الشمس أبصروا في أعماق الغابة أحد المعابد فترجلوا قريباً منه عن خيولهم آملين أن يقضوا ليلتهم هناك.

كان في داخل المعبد أحد النساك غارقا في التأمل لأنه لم يلتفت لهؤلاء الأربعة. وحين غطى الظلام الغابة، وأُنير أحد

المصابيح في المعبد. قرر الأصدقاء الأربعة أن يبيتوا ليلتهم في شرفة المعبد، ولأن الغابة مكتظة بالحيوانات المفترسة فقد رأوا أن يتناوبوا الحراسة ثلاث ساعات لكلٍّ واحد منهم في حين ينام الآخرون. حرس ابن التاجر الساعات الثلاث الأولى، وقبل أن تنتهي ساعاته الثلاث، أبصر مشهداً مدهشاً. أخذ الناسك عَظْمةً بيده، وراح يردِّد عليها بعض الكلمات التي سمعها ابن التاجر بوضوح. ولما فرغ الناسك من ترديد الكلمات، سمِع صوت قعقعةٍ في فناء المعبد، ثم رأى ابن التاجر عظاماً كثيرةً جداً تتحرك من أماكن مختلفة من الغابة. حدث ذلك، وانتهت ساعات ابن التاجر الثلاث، فأيقظ ابن رئيس الشرطة، واستلقى لينام.

حين بدأ ابن رئيس الشرطة نوبة حراسته، أبصر الناسك جالساً القرفصاء وقد شبك ساقيه وغرق في التأمل قريباً من كومةِ عظام، لم يدر ابن رئيس الشرطة شيئاً عن حكاية العظام. لم يحدث شيء لفترةٍ طويلة. ثم قطع صمت الليل المطبق عواء الضبع والذئب ودمدمة النمر. ولما أوشك وقته على النهاية، أبصر مشهداً عجيباً. نظر الناسك إلى كومة العظام التي أمامه، وردَّد بعض الكلمات التي سمعها ابن رئيس الشرطة بوضوح.

وما إن فرغ الناسك من ترديد الكلمات، حتى سُمعت ضجة صادرة من العظام، ثم حركةٌ، اجتمعت العظام إلى بعضها وشكلت هيكلاً عظمياً.

دهش ابن رئيس الشرطة، وقد ودَّ المراقبة لفترةٍ أطول لولا أن وقته المحدد انتهى. لذلك أيقظ ابن الوزير، واستلقى لينام من دون أن يخبره بشيء عما رآه إذ لم يخبره ابن التاجر بشيء مما رآه.

استيقظ ابن الوزير، فرك عينيه، وبدأ الحراسة. كانت الساعة منتصف الليل، حين بدأت أشباح الجن والأرواح من كل صنف وشكل تجوب العالم الواسع في حين كانت كل المخلوقات البشرية وغير البشرية في نوم عميق. حتى عواء الضباع والذئاب ودمدمة النمور كانت قد هجعت. نظر ابن الوزير صوب المعبد وأبصر الناسك جالساً القرفصاء، غارقاً في التأمل، وكان يرقد بالقرب منه شيءٌ أشبه بالهيكل العظمي لحيوانٍ ما.

نظر صوب الغابة الكثيفة والظلام يلفها، فانتصب شعره من الرعب. وفي هذه الحالة من الخوف والارتعاش أمضى ساعاته الثلاث، وقبل أن تكتمل أبصر مشهداً غريباً جذب انتباهه. كان الناسك ينظر في الهيكل أمامه، ثم يردد بعض الكلمات

التي سمعها بوضوح. ما إن فرغ من الترديد حتى اجتمعت الأعصاب واللحم على العظم، ثم غطاها الجلد والشعر، لكن لم يكن في الجثة الواقفة نَفَس. اندهش ابن الوزير مما رآه، وانتهى زمن مراقبته، فأيقظ ابن الملك، واستلقى لينام من دون أن يقول لابن الملك شيئاً عما رآه.

عندما بدأ ابن الملك حراسته، أبصر الناسك جالساً غارقاً في التأمل قريبا مما بدا شكل حيوان، لكنه لم يستغرب أن يرى حيواناً بلا حراك بجوار الناسك. أمضى ابن الملك وقته هادئاً ساكناً خصوصاً بعد أن نال قسطاً كافياً من النوم، فلم يشعر بشيء من ذلك التوتر الذي تُلقيه ساعة منتصف الليل على الأرواح، وأخذ يسلّي نفسه بمراقبة كيف تتحرك ظلال الظلمة وتصير أقل كثافة بين لحظة وأخرى. لكنه حين أبصر شعاعاً أحمر في الشرق، سمع أيضاً صوتاً من داخل المعبد. أبصر صوب الناسك الذي كان ينظر في الجثة الحيوانية أمامه، ثم ردَّد بعض الكلمات التي سمعها الأمير بوضوح. وحين فرغ الناسك من ترديد الكلمات، سَرَى النَّفس في الجثة، وسرت الحياة فيها ثم وقفت على أقدامها، ثم انطلقت توّاً إلى الغابة.

في تلك اللحظة، صاح الديك، وانتهت فترة حراسة ابن الملك. استيقظ الأصدقاء، وبعد فترة قصيرة استأنفوا رحلتهم، وكان كل واحدٍ منهم يفكر بالمشهد الذي رآه في المعبد.

أخذوا يسيرون في الغابة الكثيفة، من دون أن يتكلموا إلا لماماً، حتى انتصف النهار فتوقفوا تحت شجرة قريبة من بركة ليستريحوا. وبعد أن أكلوا بعضاً من ثمار الغابة وشربوا من ماء البركة، قال الأمير لأصدقائه الثلاثة: «أيها الأصدقاء، ألم تروا شيئاً في معبد الناسك؟ سوف أخبركم بما رأيت، إنما قولوا لي أولاً ما الذي رأيتموه؟ فليبدأ ابن التاجر بإخبارنا بما رآه، لأنه كان أول من تولّى الحراسة، وبعد ذلك سنسمع لكلٍّ واحد بالدور». قال ابن التاجر: «سأخبركم بما أبصرت. لقد أبصرت الناسك يأخذ عظمةً بيده ويردد بعض الكلمات التي أتذكرها. ولما فرغ من ترديد الكلمات. سمعت قعقعةً في فناء المعبد ورأيت الكثير من العظام تجري إلى المعبد من كل الاتجاهات وتجتمع معاً في المعبد عند قدمي الراهب، ثم تكومت هناك. وقد تمنيت أن أبقى أكثر كي أرى النهاية، غير أن وقت مراقبتي انتهى، فأيقظت صديقي ابن رئيس الشرطة».

وقال ابن رئيس الشرطة: «أيها الأصدقاء، هذا هو ما أبصرته. نظر الناسك في كومة العظام، وردد بعض الكلمات التي أتذكرها جيداً. ثم سمعت ضجة تحدثها العظام، ومن الغريب أني أبصرت العظام تتقافز وتلتصق ببعضها بعضاً، وصارت الكومة هيكلاً مكتملاً. وفي اللحظة التي انتهى فيها وقت حراستي، أيقظت صديقي ابن الوزير».

قال ابن الوزير: «حسناً، حين بدأت حراستي، أبصرت الهيكل العظمي المذكور مستلقياً بجوار الناسك. وبعد ثلاث ساعات فانية أمضيتها في خوف شديد، أبصرت الراهب يرفع عينيه إلى الهيكل ويردد بعض الكلمات التي أتذكرها جيداً. وبعد أن فرغ من ترديدها اكتسى الهيكل بالعصب واللحم، وغطاه الجلد والشعر، لكنه لم يُظهر أية علامة على الحياة، بل ظل ملقىً بلا حراك. عندئذ انتهى وقت حراستي، فأيقظت صديقي ابن الملك».

قال ابن الملك: «أيها الأصدقاء، مما أبصرتموه أنتم، يمكنكم أن تحزروا ما رأيت أنا. رأيت الناسك يستدير نحو الهيكل المغطى بالعصب واللحم والجلد والشعر، ويردد بعض الكلمات التي أتذكرها جيداً. وفي اللحظة التي فرغ من الترديد وقفت الجثة

على قدميها وبدت غزالاً سليماً معافى ممتلئاً حياةً. وبينما كنت أتعجب من جماله خرج من المعبد سريعاً وانطلق إلى الغابة. لحظتها صاح الديك».

بعد أن استمع الأصدقاء الأربعة إلى بعضهمٍ بعض، هنأوا أنفسهم لامتلاكهم قدرات فوق طبيعية، ولم يشكوا في أن نطق الكلمات التي سمعوها من شفتي الناسك، وتلفظها سينتج عما نتج عن كلمات الراهب. لكنهم عزموا على التأكد من ذلك بالتجربة العملية. وتحت شجرة، وجدوا عظمة ملقاةً على الأرض فأخذوا يجربون عليها. أخذ ابن التاجر العظمة وردَّد عليها الكلمات في صيغتها التي سمعها من الناسك. من المدهش القول إن مئة عظمة تدافعت من كل اتجاه وتكومت أسفل الشجرة. عندئذٍ، نظر إليها ابن رئيس الشرطة، وردَّد الكلمات التي سمعها من الناسك في صيغتها الأصلية، فتحركت العظام واجتمعت ببعضها وشكلت هيكلاً عظيماً هو هيكل حيوان بأربع قوائم. بعد ذلك، اقترب ابن الوزير من الهيكل العظمي وحدَّق فيه بتركيز وردَّد الكلمات في صيغتها التي سمعها من الناسك، فتغطى الهيكل بالعصب واللحم والجلد والشعر، ومن المخيف القول إن الجثة بدت نمراً ضخماً أضخم من أي نمر على الإطلاق.

دب الذعر في الأصدقاء الأربعة. فلو أن ابن الملك ردَّد الكلمات التي سمعها، فإن حياة الحيوان قد تكون خطراً مميتاً عليهم. حاول الأصدقاء الثلاثة أن يثنوا الأمير عن منح الحياة لجثة النمر. لكن الأمير لم يطعهم. وقال: «المانترا (أي تميمة التجسد) التي تعلمتموها أنتم برهنت على صحتها وفعاليتها. لكن كيف لي أن أعرف أن التميمة التي تعلمتها أنا صحيحة وفعالة مثل تمائمكم؟ لا بد لي أن أتأكد من صحة تميمتي. ثم إنه ليس من المؤكد أننا سنفقد حياتنا. ها هي ذي شجرة عالية. يمكنكم أن تتسلقوا إلى أعلى فرع فيها، وسألحق بكم بعد أن أتلفظ بكلمات التميمة». وعبثاً عبروا عن قلقهم بشأن الخطر الذي يتهددهم من إكمال التجربة: لقد ظل الأمير على إصراره. تسلق الأصدقاء الثلاثة إلى أعلى فرع في الشجرة، في حين تسلق الأمير إلى منتصفها.

ومن هناك حدَّق بتركيز في جثة النمر وردَّد كلمات التميمة في صيغتها التي سمعها من الناسك، وأسرع يتسلق الشجرة. وفي لمح البصر وقف النمر على أقدامه، وأصدر دمدمة مدوية، وبقوةٍ هائلة فتك بالجياد الأربعة التي كانت ترعى قريباً منه، ثم سحب واحداً منها وجرى نحو أكثف جزء في الغابة.

كاد الأصدقاء الثلاثة المتشبثون بفروع الشجرة أن يصعقوا من شدة الخوف من منظر النمر الرهيب. غير أن الخطر كان قد زال الآن. فالنمر قد ابتعد عنهم مسافة طويلة، ومن دمدمته استطاعوا أن يقدروا أنه صار على مسافة ميلين منهم. وبعد قليل نزلوا من الشجرة، ولما صاروا من دون خيول الآن، فقد ساروا على أقدامهم في الغابة حتى خرجوا منها ووصلوا إلى شاطئ البحر. جلسوا على الشاطئ آملين أن يجدوا مركباً مبحراً. ولم يطل بهم المقام، إذ سرعان ما لمحوا مركباً على البعد. لوحوا بمناديلهم، وأتوا بكل أصناف الحركات لكي يلفتوا انتباه من في المركب. لاحظهم ربّان المركب ومن فيه، فاتجهوا نحوهم، وأركبوهم فيه، لكنهم أخبروهم أنهم لا يمتلكون ما يكفي من المؤن، ولذا فلن يبقوهم طويلاً على معهم، بل سينزلوهم في أول ميناء يصادفهم. وبعد ارتحال أربعة أو خمسة أيام في المركب، رأوا غير بعيد من الشاطئ مباني عالية وأبراج وقدّروا أن المكان مدينة كبيرة، فنزل الأصدقاء الأربعة هناك.

تمشى الأصدقاء الأربعة بعد أن نزلوا في طرقات طويلة وشوارع جميلة حتى وصلوا أخيراً إلى سوق حيث مئات الدكاكين لكن لا وجود لإنسان واحد فيها. كان من بينها دكاكين حلويات

اصطفت فيها الحلويات في صفوف منتظمة، لكن ما من باعة يبيعونها. وكان هناك دكان الحداد والسندان والمنفاخ والأدوات الأخرى، لكن ما من حداد في الدكان. وكان ثمة حوامل عليها أكوام من الفاكهة المجففة، لكن ما من رجلٍ أو امرأة تبيعها.

كانت الشوارع كلها خالية من البشر، والماشية. وكانت هناك العربات، ولا ثيران تجرها، وعربات أخرى من دون خيول. وكانت أبواب المنازل ونوافذها على جانبي الشوارع مفتوحة كلها، لكن ما من بشر فيها. لقد بدت مدينة مهجورة، مدينة موتى، والموتى كلهم أخذوا خارجها ودفنوا بعيداً.

دهش الأصدقاء الأربعة وارتعبوا من المشهد. وساروا، ثم اقتربوا من مجموعة من المباني البديعة بدت وكأنها قصر الملك. ذهبوا إلى البوابة، واقتربوا من مسكن البواب، فأبصروا دروعاً وسيوفاً ورماحاً وأسلحة أخرى مكدسة في ركن الحارس. دخلوا إلى المباني، فلم يروا حراساً، ولا بشراً. وذهبوا إلى الإصطبلات، فأبصروا العلف والحبوب والعشب مبعثراً بوفرة، لكن، لا جياد. ودخلوا إلى القصر، ومروا بالردهات الطويلة، وما من بشر تقع عليهم العين.

دخلوا إلى ست قاعات طويلة، ولا بشر. ودخلوا إلى قاعة سابعة، وعندئذ، وهنا، للمرة الأولى أبصروا كائنات بشرية. رأوا أربع أميرات ذوات جمال لا نظير له آتيات نحوهم. أمسكت كل واحدةٍ منهن بذراع واحدٍ من الأربعة الأصدقاء، وكل أميرةٍ دعت من أمسكت به زوجها.

قالت الأميرات إنهن ظللن ينتظرنهم طويلاً، وأفصحن عن فرحتهن العظيمة بوصولهم. أخذت الأميرات الأصدقاء الأربعة إلى أقصى الأجنحة في القصر، وقدمن لهم وليمة سخية. لم يكن ثمة خدم، بل كانت الأميرات تحضرن المأكولات وتضعنها أمام الأصدقاء الأربعة.

وفي البداية أخبرت الأميراتُ الأربع الأصدقاء الأربعة ألاّ أسئلة يسألونها عن خلو المدينة من الناس. وبعد ذلك، ذهبت كل أميرة إلى حجرتها الخاصة مع زوجها الجديد الذي عثرت عليه أخيراً. وبعد ذلك بوقت قصير أوى الأمير والأميرة إلى جناحهما الخاص، وبدأت الأميرة تذرف الدموع. وحين سألها الأمير عن السبب، قالت الأميرة: «أيها الأمير! إنني أشفق عليك إلى حد بعيد. إنك تبدو ابن ملك، ولكنك، من دون شك، لا تملك قلب ابن الملك؛ لذلك سأخبرك بحكايتي كلها وحكاية رفيقاتي

الثلاث اللاتي يظهرن كأميرات. أنا ابنة ملك، وهذا القصر هو قصره، وتلك المخلوقات اللاتي يلبسن كالأميرات ويعتبرن أصدقاءك أزواجهن، هن راكشاساس. لقد جئن إلى هذه المدينة منذ فترة، وأكلن أبي وأمي الملكة، وإخوتي وأخواتي الكثيرين جداً. أكلن وزراء الملك وخدمه. ثم أكلن الناس تدريجيّاً في المدينة، وأكلن خيول أبي وفيلته وكل الماشية في المدينة. لعلك قد لاحظت حين جئت إلى القصر ألاَّ بشر هنا في هذه المدينة. كلهم التُهموا بواسطة هؤلاء الثلاث. لقد أبقين على حياتي أنا وحدي -وهذا كما أعتقد- إلى حين فقط. حين رأتك الراكشاساس أنت وأصدقاءك من مسافة، سررن كثيراً لأنهن يردن أن يلتهمنكم عما قريب».

قال ابن الملك: «لكن، إن كانت هذه هي الحال، فكيف يمكنني أن أعرف أنك أنتِ لستِ راكشاساس؟ لعلك تنوين أن تلتهميني بعد إبعادي عن حرسي».

ردت الأميرة: «سأذكر لك حقيقة واحدة تثبت أن هؤلاء المخلوقات الثلاث هن راكشاساس، في حين أنني لست منهن. أنت تعرف أن الراكشاساس يأكلن من الطعام كمية أكبر مئة مرة مما يأكله الرجال والنساء. وما تأكله الراكشاساس معنا على المائدة

لا يكفي لإشباع جوعهن. ولهذا يخرجن في الليل إلى أراضٍ بعيدة بحثا عن البشر أو الماشية إذ لم يعد من ذلك شيء في هذه المدينة. ولو طلبت من أصدقائك أن يراقبوا وينظروا إن كانت زوجاتهم يبقين في الليل في أسرتهن، فسيرون أنهن يخرجن ويبقين قدراً كبيراً من الليل في حين أنك ستجدني معك طوال الليل. لكن لو سمحت احرص على ألا تعرف الراكشاساس أي شيء على الإطلاق من كل هذا الذي أخبرتك به وإلاّ فسيقتلنني أنا أولاً، ثم يبتلعنكم جميعاً».

وفي صباح اليوم التالي دعا ابن الملك أصدقاءه وعقد معهم اجتماعاً للتشاور في سرية تامة. أخبرهم بما سمع من الأميرة وطلب منهم أن يرقدوا مستيقظين ليراقبوا إن كانت المتظاهرات الثلاث نائمات نوماً عميقاً طوال النهار بسبب يقظتهن أثناء الليل في التجوال، في حين أن صديقة ابن الملك لا تنام خلال النهار.

استلقى الأصدقاء الثلاثة في أسرتهم ليلاً متظاهرين بالنوم العميق، فلاحظ كلٌ واحد منهم أن رفيقته في ساعةٍ معينة غادرت الحجرة وظلت خارجاً بقية الليل ثم عادت إلى سريرها عند الفجر. وفي أثناء النهار التالي نامت كلٌ واحدة النهار كله ولم يستيقظن إلا في آخره. لاحظ الأصدقاء الثلاثة هذا ثلاثة أيام

وثلاث ليال كاملة. وابن الملك بدوره تظاهر في الليل بالنوم ولكنه وجد الأميرة في سريرها من دون أن تغادره، كما أنها لم تنم في النهار. من هذا، شرع الأصدقاء يشكُّون أن شريكاتهم هن حقاً «راكشاساس» كما ذكرت الأميرة.

ولمزيد من التأكد، أخبرت الأميرة ابن الملك أن «الراكشاساس» بعد أكل البشر والحيوانات، يلقين بالعظام في الجهة الشمالية للمدينة حيث توجد كميات هائلة منها. ذهب ابن الملك وأصدقاؤه الثلاثة ذات يوم إلى ذلك الجزء من شمال المدينة فأبصروا أكواماً هائلة من عظام البشر والحيوانات. تأكدوا أن النسوة الثلاث هن فعلاً من آكلات لحوم البشر والحيوانات.

والسؤال الآن كيف يفرون منهن؟ لم يكن أمامهم سوى أمر واحد في صالحهم وهو أنهن ينمن طوال النهار، ولذا فهم يستطيعون تنفيذ خططهم في النهار. نصحتهم الأميرة أن يذهبوا إلى شاطئ البحر وأن يراقبوا مركباً مبحراً. كانوا دائما يبقون مع الأميرة التي كانت تحمل معها صرة مجوهراتها الثمينة. وحدث ذات يوم أن أبصروا سفينة مبحرة على مسافة بعيدة من الشاطئ. أخذوا يرسلون إشارات ويلوحون ليلفتوا انتباه الربّان وملاحي السفينة. قدمت السفينة نحو الشاطئ، وبعد توسل طويل سُمح

للأميرة والأصدقاء الأربعة بالصعود على ظهرها. حثت الأميرة الربان والملاحين أن يجذفوا بأقصى سرعة ووعدتهم بمكافأة مجزية، لأنها كانت تعرف أن «الراكشاساس» سيستيقظن آخر النهار ويلحقن بالسفينة في الحال، ثم يستولين عليها ويقضين على الربان والملاحين وكل من عليها من المسافرين لو أن السفينة لم تكن قد ابتعدت عن الشاطئ ثمانية أميال لأنهن يستطعن مدَّ أذرعهن مسافة عشرة «يوجانات»، (أي ثمانية أميال). أكرمت الأميرة والأصدقاء الأربعة الربان والملاحين، فحثوا السفينة على الانطلاق بسرعة بعيداً عن الشاطئ، وقد ساعدت الريح السفينة على الإبحار بسرعة البرق.

وعند الغروب، سُمِعت الصيحة الرهيبة على الشاطئ. استيقظت الفتيات الثلاث من نومهن فاكتشفن هرب الأميرة والأصدقاء الأربعة. جرين إلى الشاطئ، فأبصرن السفينة قد ابتعدت قليلاً عن الثمانية أميال حتى إن رؤوس «الراكشاساس» وأفكاكهن الرهيبة كادت أن تهشم السفينة. وكانت الكلمات التي رددنها على مسامع الملاحين والمسافرين هي: «أيتها الأخت، أنت تودين أن تأكليهم أجمعين بمفردك».

شك الأصدقاء الثلاثة بأن الأميرة تدّعي أنها ابنة الملك، في حين أنها قد تكون هي أيضاً من جنس «الراكشاساس»، وذلك الشك تأكد لهم الآن بما سمعوه من قول «الراكشاساس» الثلاث. لكن هذه الكلمات لم تترك أثراً في عقل الأمير لأنه بمعرفته الحميمة بالأميرة لم يشك بها إطلاقاً.

أخبر الربان الأصدقاء الأربعة والأميرة أنه مسافر إلى مناطق نائية بحثاً عن مناجم الذهب ولذا فهو يرى أن ينزلهم في اليوم التالي في ميناء قريب بعد أن صاروا الآن في أمان من قبضة «الراكشاساس». غير أنهم لم يروا في اليوم التالي ميناءً حتى اقترب المساء فأُنزل الأصدقاء الأربعة والأميرة. وبعد أن مشوا مسافة، اشتكت الأميرة التي لم تعتد على المشي، من التعب والجوع، لذلك جلسوا جميعاً تحت شجرة، وأرسل الأمير ابن التاجر ليشتري بعض الحلوى من السوق الذي سمعوا أنه غير بعيد.

لم يرجع ابن التاجر لأنه اقتنع في سريرته أن رفيقة ابن الملك كانت من «الراكشاساس» مثلها مثل أولئك الثلاث اللاتي تحرروا من قبضتهنّ. وحين تأخر، أرسل ابن الملك ابن رئيس الشرطة بعده، ولكنه لم يرجع هو الآخر لاقتناعه بالفكرة ذاتها عن كون الأميرة من آكلة اللحوم. ثم أرسل ابن الوزير، لكنه فعل كالآخرين

ولم يعد. عندئذٍ ذهب ابن الملك نفسه إلى البائع في دكان الحلوى حيث قابل أصدقاءه الثلاثة الذين أرغموه على البقاء معهم بالقوة معلنين له أن الفتاة لم تكن أميرة، بل «راكشاساس» مثل الفتيات الثلاث الأخريات. وهكذا ارتحل الأمير مع أصدقائه وعادوا إلى موطنهم بعدما خاضوه من مغامرات.

في هذه الأثناء مشت الأميرة إلى السوق ووجدت لها مأوى بعد بضعة أيام في منزل امرأة فقيرة، وبعد ذلك ذهبت صوب مدينة الأصدقاء الأربعة التي أخبرها باسمها الأمير.

عند وصولها إلى المدينة، باعت بعض مجوهراتها الثمينة، واستأجرت منزلاً جميلاً بأثاث مناسب لإقامتها. ثم عرَّفت نفسها كلاعبة نرد موهوبة تتحدى كل اللاعبين في المدينة أن يلعبوا معها، وكانت شروط اللعب إن هي خسرت أعطت الفائز مئة ألف روبية، وإن فازت أعطيت مئة ألف. كما حصلت على رخصة من الملك بأن تسجن في منزلها أي شخص يخسر ولا يدفع المبلغ الذي عليه.

لعب الأصدقاء الثلاثة معها؛ ابن التاجر، وابن رئيس الشرطة وابن رئيس الوزراء. دفعوا لها مئات الآلاف، لكنهم لما لم يتمكنوا من دفع المبالغ التي عليهم لها، سُجنوا في منزلها. وأخيراً، عرض

ابن الملك أن يلعب معها. سمحت له الأميرة عمداً أن يفوز باللعبة الأولى، مما شجعه على اللعب مرات كثيرة كان هو الخاسر فيها. وحين عجز عن دفع المبالغ عليه، كان على وشك أن يُودع السجن، فأخبرته الأميرة من هي.

أُخرج الأصدقاء الثلاثة من زنازينهم، ففرحوا فرحاً عظيماً. استقبل الملك والملكة زوجة ابنهم بأذرع مفتوحة، واحتفالات بهيجة وولائم باذخة. كان كلٌّ من في القصر سعداء، باستثناء الأميرة، إذ لم تستطع أن تنسى أن أباها وأمها وإخوتها وأخواتها قد التهموا جميعاً بواسطة «الراكشاساس»، وأن عظامهم هم وأهل مدينتها ومواطنيها مكومة هناك شمال مدينتهم. أخبرها الأمير أنه هو وأصدقاؤه الثلاثة لديهم القدرة على منح الحياة للعظام، وأنهم يستطيعون إعادة تركيب عظام أبويها وإخوتها وأخواتها ومواطنيها. لكن الصعوبة هي في كيف يمكنهم التخلص أولاً من «الراكشاساس» الثلاث. ألا يستطيع الناسك الذي علمهم القدرة على إعادة الحياة، تعليمهم كيف يأخذون الحياة؟ الأرجح أنه يستطيع.

فكر الأصدقاء الأربعة بهذا، ثم قرروا أن يذهبوا مع الأميرة إلى معبد الناسك في الغابة ويتوسلوا إليه أن يمنحهم تميمة سر

تحطيم حياة شخص ما من مسافةٍ بعيدة. تعاطف الناسك معهم ومنحهم طلبهم.

مرَّ في تلك اللحظة غزالٌ، فأخذ الناسك ملأ يده ماءً، وردَّد عليه بعض الكلمات التي سمعها ابن الملك بوضوح، ثم قذف الماء على الغزال، فمات في الحال. ثم ردَّد كلمات أخرى على الغزال الميت فبُعث حياً وقفز وجرى إلى الغابة.

مسلحاً بهذه القدرة، ذهب ابن الملك والأميرة والأصدقاء الثلاثة إلى عاصمة حميِّه. وحين اقتربوا من مدينة الموت أقبلت «الراكشاساس» الثلاث نحوهم يندفعن في تهور وطيش وقد فتحن أفواههن الرهيبة. أعمَلَ ابن الملك التميمة المائية، فمتن في الحال.

وأحضر ابن التاجر العظام المتلائمة للجثث، وركَّب ابن رئيس الشرطة الهياكل العظمية، وكسا ابن الوزير الهياكل العظمية بالعصب واللحم والجلد والشعر، ومنح ابن الملك الجثث المكتملة النَّفَس. أغشي على الأميرة عند رؤيتها لأبويها وإخوتها وأخواتها وأقاربها، وامتلأت عيناها بدموع الفرح.

وبعد أن قضوا بضعة أيام في احتفالات بهيجة، غادروا المدينة المبعوثة، وعادوا إلى موطنهم، وعاشوا سعداء سنوات عديدة.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

الزوجة الصلعاء

كان لرجلٍ زوجتان، وكان يحب الصغرى أكثر، وكان لهذه خصلتا شعر في رأسها، وكانت للكبرى خصلة واحدة فقط. سافر الرجل إلى مدينة بعيدة للتجارة، وعاشت الزوجتان معاً في منزل واحد. لكنهما كانتا تكرهان إحداهما الأخرى: كانت الصغرى محبوبة زوجها تعامل الكبرى معاملة سيئة. كانت تجعلها تقوم بكل الأعمال الحقيرة في المنزل؛ وكانت تسخر منها وتوبِّخها ليل نهار، ولا تعطيها ما يكفيها من الطعام.

وذات يوم قالت الزوجة الصغرى للكبرى: «تعالي، وأزيلي كل القمل الذي في شعر رأسي».

وبينما كانت الزوجة الكبرى تفتش في شعر رأس الزوجة الصغرى عن الحشرات سقطت إحدى خصلات شعرها مصادفة، فثارت الزوجة الصغرى ثورة عارمة، وقلعت خصلة شعر الزوجة الكبرى الوحيدة من رأسها وطردتها من البيت. صارت الزوجة

الكبرى الآن صلعاء تماماً، وقررت أن تذهب إلى الغابة لكي تموت هناك من الجوع أو لتلتهمها الحيوانات المفترسة.

وفي طريقها مرت بشجرة قطن. توقفت بجوارها، وصنعت لنفسها مكنسة من الأعواد الملقاة هناك، ثم كنست البقعة حول الشجرة. سُرّت الشجرة منها، وباركتها. وواصلت سيرها وأبصرت شجرة موز الجنة، فكنست ما حولها فسرت الشجرة وباركتها. وحين واصلت سيرها أبصرت سقيفة ثور امرأة براهمانية. كانت السقيفة قذرة، فنظفتها، فسر الثور سروراً بالغا، وباركها. ثم أبصرت نبات «تولاسي»، فانحنت أمامها، ونظفت ما حولها، فأعطتها النبتة بركاتها.

وهي تواصل رحلتها، أبصرت كوخاً أقيم من فروع الأشجار وأوراقها، وكان بجوار الكوخ رجل جالس القرفصاء، وغارق في تأمل تام. وقفت لوهلة خلف الناسك المبجل. قال: «أيّاً من كنت، فلتأت إلى أمامي، لا تقف خلفي؛ وإن فعلت، فسأحيلك إلى رماد».

ارتعشت المرأة من الخوف، ووقفت أمام الناسك. سألها: «ما هو طلبك؟». قالت: «أيها الأب المبجل، أنت تعرف مدى تعاستي، لأنك كامل المعرفة. إن زوجي لا يحبني، وزوجته

الأخرى اقتلعت خصلة شعري الوحيدة، وطردتني من البيت. ارفق بي، أيها الأب المبجل!».

واصل الناسك جلسته، وقال: «اذهبي إلى البركة التي ترينها هناك. اغطسي في الماء مرة واحدة فقط، ثم عودي إليّ».

ذهبت المرأة إلى البركة وغطست في مائها مرة واحدة كما أمرها الناسك. حين خرجت من الماء، أي تغيير حدث لها! كان رأسها يتماوج بالشعر الأسود الطويل الكثيف الذي لامس قدميها، وصار لون بشرتها جميلاً مشرقاً، وبدت فتية جميلة.

شعرت بالبهجة والامتنان، وعادت إلى الناسك، وانحنت أمامه حتى لامست الأرض. قال لها الناسك: «انهضي، أيتها المرأة. ادخلي إلى الكوخ وستجدي عدداً من السِّلال المجدولة من الأماليد، فأحضري أيها تريدين».

دخلت المرأة إلى الكوخ واختارت سلَّةً بسيطة متواضعة. قال الناسك: «افتحي السلة». فتحتها ووجدتها مملوءة بقوالب الذهب، واللؤلؤ وكل أنواع الأحجار الكريمة. قال الناسك: «أيتها المرأة، خذي هذه السلة معك. إنها لن تفرغ البتة. كلما أخذت منها مقداراً سيحل بدلاً مما أخذت مثله، وهكذا، وهكذا.

ولن تفرغ السلة قطّ. اذهبي بسلام يا ابنتي».

انحنت المرأة أمام الناسك حتى لامست الأرض في امتنان صامت جليل، ومضت في طريقها.

وبينما كانت عائدة إلى البيت والسلة في يدها، مرت بنبتة «التولاسي» التي نظفت ما حولها، قالت لها النبتة: «اذهبي بسلام، يا طفلتي! سيحبك زوجك حبّاً عميقاً».

ثم مرت بسقيفة الثور الذي أعطاها صدفتين من الزينة كانتا مثبتتين في قرنيه، وقال: «يا بنيتي، خذي هاتين الصدفتين، وضعيها حول رسغيك، وكلما هززت أحدهما ستحصلين على أي زينة تريدينها».

ثم جاءت إلى شجرة موز الجنة التي منحتها إحدى أوراقها العريضة قالت لها: «خذي، يا طفلتي، هذه الورقة، وعندما تحركينها لن تحصلي فقط على أشهى ثمار موز الجنة، بل أيضاً ستحصلين على كل أصناف الطعام الذي تحبينه».

وأخيراً وصلت إلى شجرة القطن التي أعطتها غصناً من أغصانها قائلة: «يا بنيتي، خذي هذا الفرع الصغير، وحين تهزينه لن تحصلي فقط على كل أصناف الملابس القطنية، بل

ستحصلين أيضاً على الحرير والقماش الأرجواني المنمَّق. هزيه الآن أمامي».

هزته المرأة فتساقط الحرير اللامع على حجرها. ارتدت الملابس الحريرية ومضت في طريقها والصدفتان في رسغيها، والسلة والغصن والورقة في يديها.

كانت الزوجة الصغرى واقفةً بباب البيت، وحين رأت المرأة الجميلة تقترب منها، لم تكد تصدق عينيها. أي تغيير هذا الذي حدث لها! الجنية العجوز الصلعاء استحالت إلى ملكة جمال. صارت الزوجة الكبرى الآن غنية وجميلة، وعاملت الزوجة الصغرى بلطف وعطف. منحتها الملابس الجميلة، والزينة الثمينة، وأشهى وألذَّ الطعام. لكن كل ذلك لم يُجدِ. حسدت الزوجة الصغرى الزوجة الكبرى لجمالها ولشعرها. وعندما سمعت أنها حصلت على ذلك من الناسك في الغابة، قررت أن تذهب إلى هناك.

ورحلت، فأبصرت شجرة القطن، ولم تفعل لها شيئاً، ومرت بشجرة موز الجنة، وبسقيفة ثور البراهمانية، وبنبتة «التولاسي» ولم تلتفت إلى شيءٍ منها.

واقتربت من الناسك، فأخبرها أن تغطس في البركة مرة واحدة. غطست فحصلت على شعر رائع جميل وبشرة بديعة. ظنت أن غطسةً ثانية ستجعلها أكثر جمالاً، فغطست ثانية وعادت صلعاء قبيحة كما كانت. طردها الناسك، قائلاً: «اذهبي، أيتها المرأة العاصية. لن تحصلي على شيء مني».

عادت إلى منزلها تكاد تجن من الحزن. كان زوج المرأتين قد عاد من أسفاره ودهش من خصلات شعر وجمال زوجته الأولى. أحبها بجنون، وحين عرف سرها وأبصر مصادرها الدفينة، وثرواتها الخيالية، فُتِن بها.

عاشوا سعداء معاً لسنوات عديدة، وصارت زوجته الصغرى المحبوبة سابقاً خادمتهما.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت يا شجرة زعرور «ناتيا»؟

لماذا ترعين بقرتكِ في عشبي؟

لماذا ترعين أيتها البقرة؟

لماذا لا يلحق بي قطيع أبقارك؟

لماذا يا قطيع الأبقار لا تلحق بالبقرة؟

لماذا لا تعطيني كُنَّتكِ الأرز؟

لماذا يا كُنَّتي لا تعطينه الأرز؟

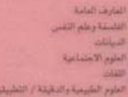
لماذا يبكي طفلي؟

لماذا تبكي، أيها الطفل؟

لماذا عضتني النملة؟

لماذا عضضته، أيتها النملة؟

اهربوا! اهربوا! اهربوا!


المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة


كلمة
KALIMA




ISBN 978-9948-01-508-6
9 789948 015086